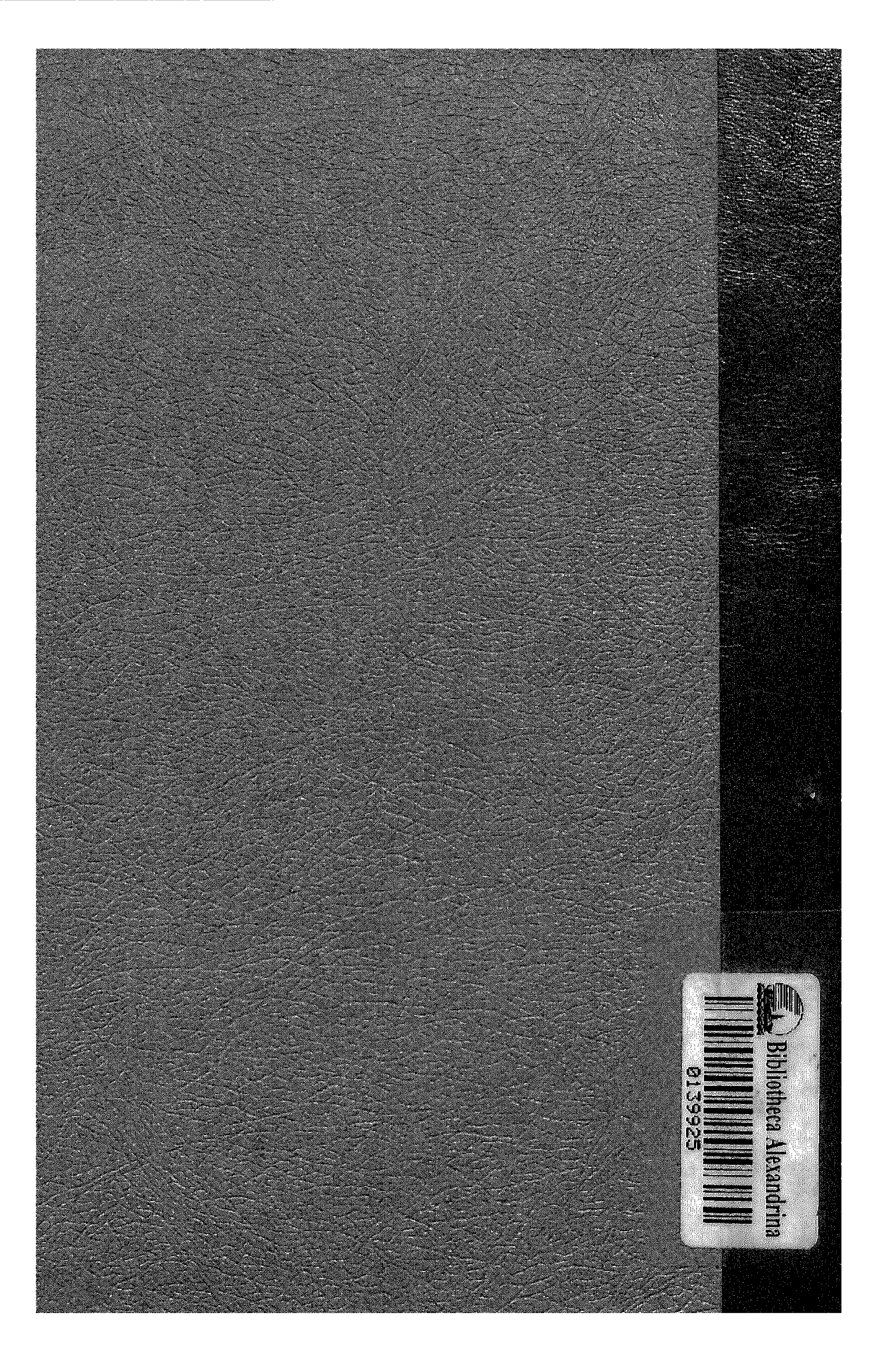

Bibliotheca Alexandrina
0139925




Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



مذاهب
وشخصيات

حياة السيد البدوي

إعداد: السيد أحمد طعيمة



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

اشتهر السيد البدوى فى القرن السابع الهجرى ، فملك على كثير من المصريين مشاعرهم ، وملأ قلوبهم محبة له ـ لما اتصف به من التقوى والورع والصلاح .

وقد استرعت هذه الحالة أنظار مؤلفى دائرة المعارف الاسلامية فسجلوا له فى ثقة وصراحة أنه أكبر أولياء مصر ، ومحل تقديس أهلها منذ قرون والهدف من هذا الكتاب دراسة حياة السيد البدوى ومعرفة شخصيته ، حتى نتبين حقيقته ، وسبب النفوذ الكبير الذى بلغه فى جميع الأتباع والمريدين ، وتلك السيطرة التى تمت له ، وامتدت من ورائه الى اليوم كأقوى ما تكون .

ولا شك أن السيد البدوى من الشخصيات العربية الذين ذاع صيتهم ، واشتهر أمرهم فى مصر خاصة والشرق عامة

ويعتبر مولده من أكبر الموالد لكثرة عدد الوافدين اليه من كل بلد ففيه نرى المغربى والتونسى والسودانى وغيرهم كثيرين .

وقد زودت هذا الكتاب بكثير من الصور والخرائط والرسوم لعلى أخرج البدوى للناس على حقيقته .

ولقد ناقشني في موضوع هذا الكتاب الدكتور محمد الطيب النجار ، والأستاذ أحمد الشرباصي وكان لتشجيعهما الفضل في ابراز هذا الكتاب الى القراء •

واخيرا ارجو ان اكون قد وفقت في اعطاء القارىء صورة لحياة السيد البدوي وان أكون قد حققت بعضا مما يرجى منه •

المؤلف

السيد احمد طعيمة

ميـــلاد السـيد أحمد البدوى ونسبه

١ ـ تاريخ الميلاد وتحقيقه :

ولد أحمـد البـدوى بمدينة «فاس» بالمغـرب الأقصى « مراكش » سنة ٥٩٦ هـ (١١٩٩ م) .

وقـد أوضح بعض المؤرخين تاريخ ميلاد أحمد صراحة كالسيوطى وعبد الصمد . وأجمع المؤرخـون والرواة على صحة هذا التـاريخ كتقى الدين المقريزى وجـلال الدين السيوطى وعبـد الوهاب الشعرانى وعبد الصمد زين الدين والخفاجى .

ويقول مؤلفو دائرة المعارف الاسلامية : ولد أحمد بفـاس بزقاق الحجـر ويحتمل أن يكون ذلك سـنة ٥٩٦ هـ (١١٩٩ م) .

ويعتبر تحقيق ميـلاد أحمد من الأمور العظيمة الأثر فى تاريخه .. اذ يجعل ما نسب اليه من صلته بالفاطميين ضربا من المغالطة والافتراء .. وبخاصة اذا علمنا أن السلطـان صلاح الدين يوسـف بن أيوب قد بدأ فى تأسيس دولتـه بمصر بعد سقوط الدولة الفاطمية سنة ٥٦٧ هـ (١١٧١ م أى قبل ميلاد أحمد بنحو تسع وعشرين سنة .

نسـبه :

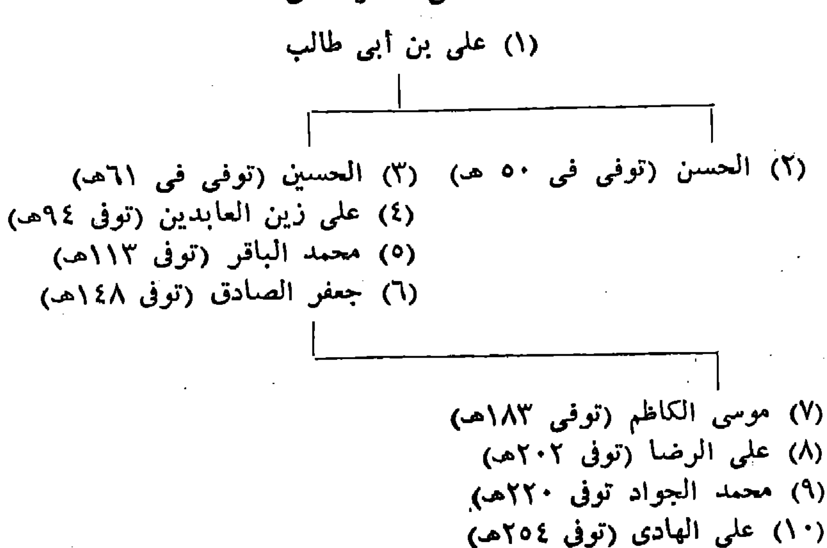
هو السيد أحمد بن على بن ابراهيم بن محمد بن أبى بكر ابن اسماعيل بن عمر بن على بن عثمان بن حسين بن محمد ابن موسى بن يحيى بن عيسى بن على بن محمـد بن حسن بن جعفر [1] (وهو أخو حسن العسكرى) بن على (الهادى) بن

(١) الاسماء التى وضعت تحتها خط محذوفة من سلسلة النسب المنقوشـة على الضريح .

محمد (الجواد) بن علي (الرضا) بن موسى (الكاظم) بن جعفر (الصادق) بن محمد (الباقر) بن علي (زين العابدين) ابن الحسين بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه •

سلسلة النسب المحققة :

وتلخص هذه السلسلة من أنساب الشيعة عامة ، ونسب البدوي خاصة ، وقد رجعت في تحقيق أنساب الشيعة الى ما رواه عنهم ابن خلكان ولنيبول Lanepoole وغيرهما من كتاب العصر الحاضر وهذه السلسلة على النحو التالي :



(١١) حسن العسكري
(١٢) محمد المنتظر (٢٦٠ هـ)
(وهو آخر الأئمة الاثني عشر)

(١) جعفر (من نسله ظهر البدوي)
(٢) حسن (ويتفق اسمه مع النوبختي)
(٣) محمد (سمي الجواد خطأ)
(٤) علي (سمي الهادي خطأ)

(٥) عيسى (٦) يحيى
(٧) موسى (٨) محمد
(٩) حسين (١٠) عثمان
(١١) علي (١٢) عمر
(١٣) اسماعيل (١٤) أبو بكر
(١٥) محمد (١٦) ابراهيم
(١٧) علي (١٨) أحمد البدوي

هجـــرة أسرة البـــدوى الى بلاد المغرب وعودتها الى الحجاز

افراد الأسرة :

كان أحمـــد سابع اخوته وهم : الحسن ، ومحمـــد ، وفاطمة، وزينب، ورقية ، وفضة ، ويضيف اليهم أبو السعود الواسطى أم كلثوم • فأفراد هذه الأسرة سبعة أو ثمانية وقد أقرت ذلك دائرة المعارف الاسلامية(١) •

ويكون هؤلاء الأبنـــاء مع أبيهم على بن ابراهيم ، وأمهم فاطمة بنت محمد بن أحمد بن عبد الله بن مدين بن شعيب• اسرة كريمة المحتد ، عربية الأصل ، هاجر أجدادها من بلاد العرب ، وحطوا رحالهم فى بلاد المغرب ، بين القبائل العربية ، الضاربة بصحارى تلك الجهـات النائيـة ، وفيها المشـابهة لمثيلاتها فى شبه الجزيرة العربية •

تاريخ الهجرة من الحجاز الى المغرب :

ولا يعرف بالضبط تاريخ هجـــرة هذه الأسرة الى بلاد المغرب ، ويرجع كل ما تناقله الرواة فى هـــذا الصدد الى رواية ابن أزبك الصـــوفى التى رواهـــا فى « نســـبته » الشهيرة ، وقد نقل عنه كل من كتب عن تاريخ أحمد دون تمحيص أو تحقيق •

وتتلخص تلك الرواية فى أن هجرة الأسرة الى بلاد المغرب كانت ســـنة ٧٣ هـ على يد « محمـــد الجـواد بن حسن

---

(١) المجلد الاول صفحة ٤٦٥ •

العسكرى بن جعفر » فرارا من ظلم الحجاج الثقفى وتعقبه للعلويين بعد استشهاد عبد الله بن الزبير(١) .

ويردد الشعرانى هذه القصة فيقول : كان مولد أحمد بزقاق الحجر ببلدة فاس بالمغرب الأقصى ، لأن أجداده انتقلوا أيام الحجاج اليها حيث أكثر القتل فى الشرفاء (٢) .

ويتم على مبارك القصة فى خططه فيقول : « وأول من نزل من أجداده ببلاد المغرب هو محمد الجواد بن حسن العسكرى من نسل على بن أبى طالب(٣) » . وتقرر ذلك دائرة المعارف الاسلامية فتقول :

« انتقل أجداده الى مدينة فاس حوالىسنة ٧٣ هـ (٦٩٢م) عندما اضطربت أحوال الجزيرة العربية(٤) .

العودة الى الحجاز وأسبابها :

اضطربت الأحوال فى بلاد المغرب منذ ظهور دعوة محمد ابن تومرت الذى أنشأ دولة الموحدين ، وادعى انه المهدى المنتظر فى فاتحة القرن السادس الهجرى(٥) .

وقد عمل خلفاؤه من بعده على نشر مذهبه ، وحاربوا المرابطين وهزموهم ، وطاردوا أتباعهم ، وأخرجوهم من ديارهم ، وورثوهم فى الملك والسلطان فى افريقية والأندلس.

لهذا اضطرت أسرة البدوى الى أن ترحل الى بلاد أكثر أمنا وأرغد عيشا من بلاد المغرب ، وبخاصة بعد أن زاد اضطهاد الموحدين لبقايا المرابطين الذين ظلوا على مبادئهم ، ورفضوا الخضوع للحكام الجدد طيلة النصف الأخير من القرنالسادس الهجرى ، وما ان بدأ القرن السابع الهجرى حتى أعلن على ابن ابراهيم ، رب الأسرة أنه رأى كما يرى النائم من يأمره بالرحيل الى الحجاز ويقول له : «ارتحل من هذا المكان الى مكة ، فان لنا فى ذلك شأنا(٦) » فأعلن رب الأسرة الرحيل ،

---

(١) الجواهر ص ١٠ .
(٢) الطبقات : ج ١ ص ٢٢٥ .
(٣) الخطط التوفيقية : ج ١٣ ص ٤٨ .
(٤) المجلد الاول ص ٤٦٥ .
(٥) الوفيات : ج ٢ صفحة ٣٧ .
(٦) النفحات صفحة ٦٥ .

رغبة فى الحج الى بيت الله الحرام · وهو سبب ظاهرى يخفى وراءه الحقيقة التى تظهر فى البيتين الآتيين اللذين أنشدهما على والد البدوى يوم الرحيل يصف فيهما الحجاز :

رحلنا الى أرض يفوح شذاها	الى عرب مالى سواهن مذخر
رحلنا اليها نستظل بظلها	يصير لنا فيها مقام ومصدر

ويتفق الرواة كالمقريزى والشعرانى ومؤلفى دائرة المعارف الاسلامية على أن خروج الأسرة من بلاد المغرب كان سنة ٦٠٣ هـ ، وكان وصولها الى مكة سنة ٦٠٧ هـ ، وبذلك تكون الرحلة قد استغرقت أربع سنوات ·

ويصف الشعرانى هذه الرحلة على لسان حسن أخى أحمد فيقول :

« فما زلنا ننزل على عرب ، ونرحل عن عرب ، فيتلقوننا بالترحيب والاكرام حتى وصلنا مكة المشرفة فى أربع سنين ، فتلقانا شرفاء مكة ، كلهم وأكرمونا ، ومكثنا عندهم فى أرغد عيش(١) » وليس وقت خروج الأسرة من المغرب موضع خلاف ، ولكن زمن وصولها الى مكة هو محل الشك ، اذ أن أبا السعود الواسطى وجلال الدين السيوطى يختلفان فى ذلك :

فيرى الأول أن الأسرة استقرت بمصر خمس سنوات · أما الثانى (السيوطى) وهو حجة فى تاريخ مصر فى تلك العصور فيقول : « وحج البدوى سنة ٦٠٩ هـ مع أبيه ، وأقام بمكة الى أن مات أبوه(٢) » ·

وبذلك يؤخر السيوطى موعد وصول الأسرة الى مكة سنتين ، وقد نقل عنه الخفاجى وأخذ برأيه ، لأنه من الراجح أن تكون الأسرة قد مرت بمصر واستقرت ببعض جهاتها وقتا ما · ويقرر ذلك فى صراحة على مبارك فيقول : « ثم رحل بالبدوى أبوه على بن ابراهيم مع سائر أولاده وأهله سنة ٦٠٣ هـ يريد الحجاز للحج فمر فى طريقه بمصر · وأقام معهم فيها مدة (٣) » وقد تكون المدة التى قضتها أسرة البدوى بمصر سنتين ، وهى الفرق بين سنة ٦٠٧ هـ التى

---

(١) الطبقات : ج ١ ص ٢٤٥ ·
(٢) حسن المحاضرة : ج ١ ص ٢٩٩ ·
(٣) علم الدين ج ١ ص ١٣٥

اشار اليها أكثر الرواة ، وبين ٦٠٩ هـ التى انفرد بذكرها السيوطى .

تفكك الأسرة :

كان مرور أسرة البدوى بمصر فى عهد الملك العادل سيف الدين أخى صلاح الدين الأيوبى (٥٩٧ ـ ٦١٥ هـ) ، وبعد أن أقامت الأسرة سنتين بمصر ، وأصلت سيرها الى الحجاز وألقت عصا التسيار بمكة ، وظلت بها فى أرغد عيش الى أن تزوج حسن سنة ٦١٧ هـ ، ثم تزوج محمد سنة ٦٢٦ هـ

وفى سنة ٦٢٧ هـ ، مات رب الأسرة على بن ابراهيم ودفن بالمعلاة(١) بمكة ، ثم مات محمد سنة ٦٣١ هـ ، ودفن بجانب والده ، وبذلك تفككت أوصال هذه الأسرة وكان لتفككها أثر عميق فى حياة البدوى أصغر أفرادها .

---

(١) مقبرة مكة .

تربية البدوى

تربيته بالمغرب :

استقرت أسرة البدوى بالحجاز ولم يتم ثلاثة عشر ربيعا، اذا جعلنا تاريخ وصول الأسرة الى مكة سنة ٦٠٩هـ . فهو اذن فى مقتبل العمر ، صالح لتقبل ما يلقى عليه من تعاليم ، ودرس بعضها عندما كان ببلاد المغرب ، حيث تربى تربية دينية على عادة أبناء الأشراف فى ذلك العصر ، فحفظ القرآن ، وتعلم القراءات ، وتفقه فى الدين على مذهب الامام مالك ، ومال الى الزهد منذ صغره ، حتى اشتهر بين قومه بالشيخ أحمد الزاهد .

ولما كان أخوه حسن من الصوفية ، فقد أعده ليكون مثله ، فأشرف على تعليمه وألبسه خرقة التصوف على يد الشيخ عبد الجليل النيسابورى بفاس .

تربيته بمكة :

ولما انتقل الى مكة ، كما أسلفنا ـ أتم دراسته على مذهب الشافعى تلميذ مالك . وظل شافعيا حتى مات ، وقد ساعدته طبيعة بلاد الحجاز وما ظهر فيها من الميل الى التصوف والزهد منذ عهد «الفضيل بن عياض» المتوفى سنة ١٨٧هـ(١) على اشباع رغبته فى التصوف ، فمال الى العبادة والزهد . وكان يتعبد فى جبل أبى قبيس قرب مكة ، كما انه انصرف عن الزواج ، ولعلهساير أحمد الرفاعى فى ذلك ، فأخذا

(١) فجر الاسلام : ج ١، ص ٢٠٩ .

نفسيهما ، بالحكمة العملية التى ترمى الى التحـــرر من الألم والوهم ، وذلك بالتجرد عن الشخصية الظاهرة الحادثة التى يخلقها فى الانسان التصديق بالجزيئات ، وذلك برياضات عدة ، ادناها رياضات الفقراء وأرقاها التأمل والاستغراق(١).

وهذا ما دعا مؤلفى دائرة المعارف الاســـلامية الى تشبيه تصوف البدوى بتصوف فقراء الهنود ، ولاسيما فرق«آليوجا الهندية»(١) . وقد تكون الرغبة عن الزواج عادة اجتماعيـــة انتشرت بين النـــاس فى تلك العصور نتيجـــة للانحلال الاجتماعى والاقتصادى الذى يقترن عادة بعصور التأخـــر والاضمحلال .

وقد امتاز القرن الســـابع الهجرى ، الذى عاش فيـــه البدوى بأحداث تاريخية جسيمة كان لها أثرها العميق فى النفوس كســـقوط بغداد فى أيدى التتـــار سنة ٦٥٦ هـ (١٢٥٨ م) وتعرض مصر لهجمات الصليبيين بصفة مباشرة طيلة حكم الأيوبيين ، وكذلك اضطربين أحوال المغرب والشام وغيرها من أجزاء الدولة الاسلامية .

حالته بمكة :

وبعد أن تفككت أسرة البدوى بمكة تغيرت أحواله فمال الى العزلة ، والتعبد والصمت ، وتصف دائرة المعـــارف الاسلامية ذلك فتقول : « ولا بد أنه حدث له حـــوالى سنة ٦٢٧ هـ غير مجرى حيـــاته(٣) ، فقد قرأ القرآن بالأحرف السبعة ، ودرس قليلا من الفقه الشافعى ، وعكف على العبادة وامتنع عن الزواج ، واعتزل الناس وعاش فى صمت لا يفصح عما يجول فى نفسه الا اشارة ، وأصبح فى حالة وله دائم .

صفاته الجثمانية ودلالتها :

ولما كان البدوى قد نشأ نشأته الأولى بين القبائل العربيـــة ببلاد المغرب من المرابطين الملثمين ، فقد تأثر أحمد بكثير من عاداتهم كوضع اللثام على وجهه وميله الى الشجاعة والجرأة وحبه المخاطرة والترحال ، وتحليه بكل ما من شـــأنه أن

---

(١) دروس فى الفلسفة .

(٢) المجلد الأول ص ٤٦٦ .

(٣) المجلد الاول : ص ٤٦٥ ويلاحظ ان اباه توفى سنة ٦٢٧ هـ

يكسبه الفتوة الحقة بين أنداده ، وبخاصة بعد أن استقرت أسرته بمكة فقد اشتهر بصفات جثمانية وألقاب صوفيـــة لازمته ما عاش ، وكان لها أثرها فى نشاته وتاريخه ٠

ويذكر الرواة صفات البدوى الجسمية بأساليب مختلفة، ولكنها متفقة فى تفاصيلها ونورد هنا صورة موجزة لمـا روته عنها دائرة المعارف الاسلامية ٠

وكان البدوى ضخما قويا قمحى اللون ، أقنى الأنف ، عليه شامتان ، ويظهر بوجهه أثر ثلاث حبات من الجدرى وندبة بين عينيه من طعنة موسى(١) ٠

واليكم صورة أخرى لهذه الصفات رواها الشعرانى : «كان غليظ الســـاقين ، طويل الذراعين ، كبـــير الوجه ، أكحل العينين ، طويل القامة ، قمحى اللون ، وكان فى وجهه ثلاث نقط من اثر جدرى فى خـده الأيمن واحـدة وفى الأيسر اثنتان ، أقنى الأنف ، على أنفه شامتان فى كل ناحية شامة سوداء أصفر من العدسة ، وكان بين عينيه جرح موسى جرحه ولد أخيه الحسين بالأبطح حين كان بمكـة (٢) » . وتدل هذه الصفات على أن البدوى من أصل عربى خالطته عناصر بربرية من المغرب الأقصى ، فبدت مظاهـر هـذا الاختلاط الجنسى فى لونه ، وملامح وجهه ، كما تدل على أنه لم يلجأ الى الصيام والقيام والتعبد ليل نهار ، الا بعد أن تم نمـــوه وكمل جسمه ، على الرغم من ميله الي التصوف منذ نعومة أظفاره ٠

---

(١) المجلد الأول : صفحة ٤٦٦ ٠

(٢) الطبقـات : ج ١ صفحة ٢٤٧

خريطة

تبين الأقطار التي اتصلت برحلات أسرة السيد أحمد البدوي

الصحراء الكبرى

بحر الروم

آسيا الصغرى

بلاد المغرب

الأندلس

العراق

الحجاز

النوبة

بحر العرب

اليمن

الحبشه

قرطبه

فاس

تلمسان

مراكش

سجلماسه

كتامه

القيروان

المهدية

الجزائر

طرابلس

برقه

الاسكندرية

القاهرة

اسيوط

قنا

اسوان

القدس

حلب

بغداد

الكوفة

البصره

الأهواز

شيراز

المدينة

مكه

صنعاء

رحلة البدوى الى العـــراق

العراق مركز للتشيع والتصوف

شغل البـــدوى بالتصوف فى أثنـــاء اقامته بمكة . وزاد ميله الى العبادة وتغيرت أحواله بعد وفاة أبيه سنة ٦٢٧ هـ (١٢٢٩ م) ثم أخيه محمـــد سنـــة ٦٣١ هـ (١٢٣٣) م ولقـــد شغل كذلك بتعـــاليم زعيمين من اشهر زعماء المتصوفة بالعراق فى القرن السادس الهجرى وهما : احمد الرفاعى ، وعبد القادر الجيلانى اللذان كانا موضع احترام الناس منذ عدة أجيال وقد بلغ شغف أحمد بهما وبتعاليمهما أنه رآهما كما يرى النائم غير مرة يدعوانه الى زيارة العراق ، ويطلبان اليـــه أن يتزعم المتصوفة بعد أن أعد نفسه للقطبية ، والزعامة الصوفية منـــذ هبطت أسرته أرض الحجاز .

وقد عرض البدوى رؤياه على أخيه الأكبر حسن ، فأجابه بقوله : انى أخاف عليك يا أخى من بلاد العـــراق : فانها برزخ الأوليـــاء وبلاد الصالحين(١) .

والحقيقة أن العراق كما ينبئنا التاريخ كان مصدر كثـــير من الآراء المختلفة والمذاهب المتشعبة ، وخاصة مايتصل منها بالتشيع والتصوف .

أما التشيع فقـــد تأثر بتعاليم فلاسفة الفرس الأقدمين ، وارتبط بنظرية « الحق المقدس للملوك » تلك النظرية السياسية التى نشأت عنها

---

(١) الجواهر : صفحة ٣٠ .

فكرة الوهية على بن أبى طالب ، وتقديس زعماء الشيعة كما تأثر بها مركز الخلفاء العباسيين فى الحكم الى حد كبير .

ولقد تطورت مبادىء الشيعة وعقائدهم تطورا انتهى بظهور آراء واتجاهات عظيمة الخطر فى الاسلام ، فظهرت نظرية « المهدى المنتظر » ونظرية « الوصايا أو الرجعية » للامام ، وتناسخ الأرواح وغيرها من النظريات التى انتقلت الى الاسلام ، عن المدنيات الشرقية القديمة . فكان العراق مهد هذا التحول .

اما التصوف فقد تأثر — الى حد ما — بآراء الاشراقيين وعقائدهم التى ظهرت منذ فجر الدين المسيحى كالميل الى الزهد ، والاعراض عن الدنيا ، والبعد عن كل لذة بدنية ، وتحريم ملكية الأشياء ، والامتناع عن الزواج الى غير ذلك من المبادىء التى كان لها خطرها واثرها فى العقل الاسلامى فى العصور المتأخرة(١) .

ولم يكن التصوف بمعزل عما طرأ على التشيع من نظريات واتجاهات ، بل تأثر بها الى حد كبير ، فنظرية « القطب » عند المتصوفة هى بعينها نظرية « المهدى » عند الشيعة ، وقد نسب الصوفية الى القطب العلم والعصمة من الخطأ كما نسبها الشيعة الى الامام .

كذلك عنى المتصوفة بعلمى الظاهر والباطن ، والتأويل كما كان يفعل الشيعة .. اما ما كان يتصف به أئمة الشيعة من القدرة على الأخبار بالغيب ، والاطلاع على ما وراء الحجب ، فقد عبر عنه المتصوفة بالكرامات ، وكذلك ساير المتصوفة الشيعيين فى تقديس الأئمة ، فقدسوا الأولياء ، ونسبوا اليهم من القوة والقدرة ما مرده الى الله وحده(٢) .

وقد بقيت آثار تلك المذاهب والأفكار على مر الأيام ، شاهدة بما كان لمذهبى الشيعة والمتصوفة من ازدهار بالعراق فى العصور الاسلامية المتتابعة فلا تزال به قبور ومساجد كثيرة بعضها خاص بالشيعة من نسل على بن أبى طالب ، وبعضها لفريق من المتصوفة الذين اشتهر أمرهم فى عصور مختلفة كأبى الحسن البصرى الذى سطع نجمه فى البصرة ، واهتدى بهديه الكثيرون (٣) .

وعلى مقربة من البصرة اقليم البطائح مقر الطريقة الرفاعية . وفى بغداد عاش عبد القادر الجيلانى شيخ الطريقة القادرية . وفى شمال

(١) فان فلوتن : صفحة ٦٨ .

(٢) ضحى الاسلام : ص ٢٠٨.

(٣) دروس فى الفلسفة ص ٧٢

العراق سادت الطريقة العدوية بزعامة « على بن مسـافرى الهكارى الأموى » .

وقت الرحـلة :

لذلك كان « حسن » أخو احمد محقا عندما حذر أخاه ونهـاه من السفر الى العراق . ولكن احمد أصر على الترحال فأشفق عليه أخوه ورافقه فى بدء رحلته .

بدأ الأخوان رحلتهما فى العاشر من المحرم سنة ٦٣٤ هـ (١٢٣٧م) وانتهى بهما المطاف الى بغـداد فى ربيع الأول من نفس السنة ، وكان ذلك فى عهـد الخليفة العبـاسى « المستنصر بالله » الملقب بأبى جعفر المنصور (٦٢٣ ــ ٦٤٠ هـ) وهو والد « المستعصم » آخر الخلفـاء العباسيين ببغداد ويختلف الرواة اختلافا بينا فى تحـديد مولد بدء هذه الرحلة .

الجهات التى شملتها الرحلة :

واذا أردنا أن نتتبع الطريق الذى سلـكه احمـد واخوه حسن وجدنا انهما نزلا ببغداد بادىء ذى بدء ، وزارا بها قبور الحلاج والجيلانى والرفاعى ثم قصدا « الكاظمية » احدى البلدان العراقية المقدسة التى يسميها ياقوت الحموى «مقابر قريش»(١) وبها دفن موسى الكاظم بن جعفر الصادق المتوفى سنة ١٨٣ هـ . وقد نسبت اليه .

وفى سنة ٢٢٠ هـ دفن بها أيضا « محمد الجواد » ويكون القبران مشهدا عظيما من مشاهد الكاظمية يقصد اليه الزائرون من أقصى المعمورة للتبرك (٢) .

وما لبث الأخوان أن غيرا وجهتهما الى جنوبى العـراق ، معرجين على وادى « قوسان » الذى يقع بين بلدة « كوت » على نهر دجلة وبين بدرة على مقربة من نهاية هـذا الوادى الذى يصفـه ياقوت بأنه بين « النعمانية » و « واسط » وبهذا الوادى اليوم بلدة « جسـان » وهى تحمل اسمه القديم .

ثم اتجه البدوى بعـد ذلك بصحبة أخيه الى « أم عبيدة » مركز الطريقة الرفاعية وهى احدى قرى البطائح .

---

(١) معجم البلدان : ص ١٠٧ .

(٢) موجز تاريخ البلدان العراقية : ص ٤٨

فى هذه البطائح اقام الأخوان أياما بقرية « أم عبيدة » وعند عودة البدوى واخيه من البطائح الى بغـداد تركه اخوه واتجه الى مكة . أما البدوى فقد واصل رحلته الى شمال العراق ، حيث زار قبر « عدى بن مسافر الهكارى » وعدى بن مسافر هو صاحب الطريقة العدوية وقبره الآن فى واد جميـــل وعلى مقربة منه تقع بلدة « عين ســفنى » مقر سدنة هذا القبر .

وبالقرب من قبر عدى ، ناحيــة العشائر السبع ومن بينها عشيرة « برى » التى قد تنسب اليها « فاطمــة بنت برى » ولها قصــة مع البدوى .

نهاية الرحلة واثرها فى حياة البدوى :

واخــيرا عاد البدوى الى الحجــاز سنة ٦٣٥ هـ (١٢٣٨ م) وكان لهذه الرحلة اثرها فى حيــاته ، فقد زاد عليه مظهر الوله ، وعظم ميله الى العبادة والزهد ، وأكثر ما عرف عنه من زيادة الورع والتقوى كان بعد هذه الزيارة .

فقد مال الى الصمت ، وكان يصوم النهار ، ويقوم الليل ، ويكثر من قراءة القرآن .

ثم اتجه تفكيره الى الترحل الى جهة اخرى يتخذها مقرا ومقاما . اذ كانت الرحلات جزءا من برا مج رجال العلم والدين ، ولعله رأى ان مصر كنانة الله فى ارضه خير مستقر له ، لأنه كان قد مر بها فى صباه واتخذ له فيها رفاقا كان له معهم شأن أيما شأن .

رحلة البدوى الى مصر

نصيب مصر من حركتى التشيع والتصوف

صارت مصر منذ دخول العرب اليها فى القرن الأول الهجرى مركزا علميا فى الدولة الاسلامية ــ كما هى مركز سـياسى ــ ولـكن الحركة العلمية فى بدء عهدها لم تكن فلسفية ولا دنيوية ، بل كانت كل عنايتها موجهة الى الدين الذى تأثر على مر الأيام بالثقافة اليونانية والرومانية التى كانت سائدة قبل الفتح العربى وقـد أدى ذلك الى أن اصطبغت هذه الثقافة القديمة بالتعاليم الاسلامية وعدلت كما يتفق والاسلام (١) وكانت الشيعة والمتصوفة أكثر الفرق الاسلامية تأثرا بهذا الاختـلاط فى مصر ــ كما حدث بالعراق ــ وبخاصة فى العصر الفاطمى . اذ ما كاد ينتقل المعز لدين الله الى قاهرته المعزية سنة ٣٦٢ هـ (٩٧٣ م) حتى عنى بنشر الدعوة الفاطمية عناية كبيرة ، تلك الدعوة القائمة على خطوات تسع ، أشبه بتاسوعات أفلوطين الفيلسوف المصرى فى العصر المسيحى(٢) وقد شرح المقريزى تفصيل خطوات الدعوة الفاطمية ، ونقلها عنه كثير من كتاب العصر الحاضر(٣) .

وقد نظم الفاطميون شئون هذه الدعوة ، وجعلوا لها رئيسا عرف باسم « داعى الدعاة » وكان يلى قاضى القضاة فى المرتبة ويتزيى بزيه . ويشرف على اعداد الدعاة ، وتدريس الأوليـاء والأنصار ، والذين كان يوكل اليهم نشر الدعوة الفاطمية فى أرجاء البلاد المصرية (٤) .

---

(١) فجر الاسلام : ج ١ ص ٢٣٣ .

(٢) عاش افلوطين بين سنتى ٢٠٥ و ٢٧٠ م .

(٣) المواعظ والاعتبار : ج ٢ ص ٢٢٦

(٤) صبح الاعشى : ج ٣ صفحة ٢٨٧

ومن اجل ذلك كان لانتشار تلك الدعوة فى مصر اكبر الأثر فى نجاح نوع من التصوف السياسى حمل لواءه جماعة من دعاة الدولة الفاطمية وانصارها بل من أوليائها ، كمـــا يسميهم ابن خلدون عند اشارته الى شيعة الفواطم وأتبـاعهم بمصر والمغرب ، ولعل ذلك هو السر فى كثرة الأولياء بمصر منذ العهد الفاطمى وهم اصلا انصار الدولة ودعاتها فى البـلاد .

ولمـا قضى صلاح الدين الأيوبى ، على الدولة الفاطمية سنة ٥٦٧ هـ (١١٧١ م) انتفع بنفوذ هؤلاء الأولياء فى نشر المذهب السنى بدلا من العقائد الشيعية ليقيم دولته على اساس وطيد ، ويحارب أعداءه بنفس الوسيلة مع اختلاف الغاية .

وقد بنى صلاح الدين لهؤلاء الأولياء الخوانق والربط والمـدارس والزوايا ووقف عليها المـال والغلال لتقوم برسالتها على اكمل وجه . ويصف ذلك القلقشندى فيقول : « واما الخوانق والربط . فما لم يعهد بالديار المصرية قبل الدولة الأيوبية . وكان المبتكر لها السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب » .

وبذلك انتشر التصوف السنى بمصر ، واعتنقه كثير من الشيعة فى مهد الدولة الأيوبية ، وفى مقدمتهم السيد احمد البدوى نفسه ، الا ان السياسة التى اتبعها صلاح الدين للتخلص من المذهب الشيعى وانصاره بمصر لم تقض القضاء التام على الشيعيين بل بقيت لهم نقابة «الطالبيين» نسبة الى على بن أبى طالب وهى تلك الهيئة الرسمية التى انشاها خلفاء الفواطم خاصة للنظر فى شئون العلويين والمنسبين الى آل البيت . وقد عرفت هذه النقابة فى العصور الحديثة بنقـابة الأشراف التى لا تزال قائمة الى يومنا ، ويعرف رئيسها باسم نقيب الأشراف .

ولمـا انتقل الحكم الى المماليك البحرية بعد سقوط الدولة الأيوبية سار حكامهم على نهج الأيوبيين ، فانشـأوا المدارس لتدريس مختلف العلوم والمذاهب الدينية والفلسفية وبخاصة التصوف الذى كثر معتنقوه كثرة استرعت الأبصار ، فقـد مال الناس الى العزلة والاعتكاف حتى لا يتعرضوا لظلم الحكام وعسفهم ، وزاد نفوذ الأوليـاء بينهم عنـدما انصرف السـلاطين الى الحروب والمنازعات الداخلية والخارجية ، ولم تعد تربطهم بهذه الطبقات الا روابط روحية ، تختلف قوة وضعفا على حسب تقوى الحاكم وورعه ، وقـد ساعد ذلك على توثيق العلاقة بين أفراد الشعب والأولياء الذين صار لهم فى نفوسهم من المحبـة والولاء ما ليس للملوك والأمراء .

وقد وصف هـذه الحالة «عفيف الدين اليافعى»(١) أحد متصوفة مصر فى القرن الثامن الهجرى فقال :

اخى نحن والله الملوك بفقرنا لنا الملك فى الدارين والعز والغنى
نولى ونعزل والملوك جميعهم لنا خدم والذل يجزون والعنا

ويدل ذلك بوضوح على مقدار ما طرأ من التحول على مركز الأولياء بمصر فى القرن السابع الهجرى ، فقد انعدمت صبغتهم السياسية وظهرت قواهم الروحية والتف حولهم الأتباع والأنصار وعطف عليهم الملوك والحكام عطفا ظهرت آثاره فى زيارتهم لهم والتبرك بهم ، فضلا عن انشاء المدارس والمساجد لأتباعهم ، وحبس الأوقاف عليها بسخاء عظيم ، وقد افاض المقريزى فى وصف هـذه المدارس والمساجد واشار الى منشئيها والأماكن التى انشئت فيها(٢) .

وقت الرحلة :

وفى اثناء هذا التطور فى تاريخ التصوف فى الديار المصرية ولى البدوى وجهه شطرها فنزل «طندتا» عاصمة اقليم الطندتاوية فى الرابع عشر من ربيع الأول سنة ٦٣٧ هـ (١٢٤٠ م) كما روى عبد الصمد والخفاجى نقلا عن المقريزى (٣) وقد اخذ عنهم على مبارك والظواهرى (٤) .

وكانت رحلة البدوى الى طندتا (طنطا) نتيجة لرؤيا رآها فى منامه ثلاث مرات امر فى اثنائها « أن سر الى طندتا فانك تقيم بها وتربى رجالا وابطالا » (٥) .

ولهذه الرؤيا قيمة تاريخية عظيمة ، اذ انه لابد أن يكون البدوى قد مر بطنطا فى اثناء رحلة اسرته من المغرب الى الحجاز وشغف بها خياله فرددها عقله الباطن فى عالم الأحلام طبقا لمبادىء علم النفس الحديث .

على ان شهرة البدوى سبقته الى طنطا ، فقد بشر الشيخ سالم المغربى بحضوره اليها وبرغبته فى الاستقرار بها ، ولعل البدوى قد

---

(١) التصوف الاسلامى : ج ١ صفحة ٢٢٥ .
(٢) المواعظ والاعتبار : ج ٤ ص ١٣٦
(٣) الجواهر : ص ٥
(٤) الخطط التوفيقية : ج ١٣ ص ٤٩
(٥) الطبقات : ج ١ ص ٢٤٦

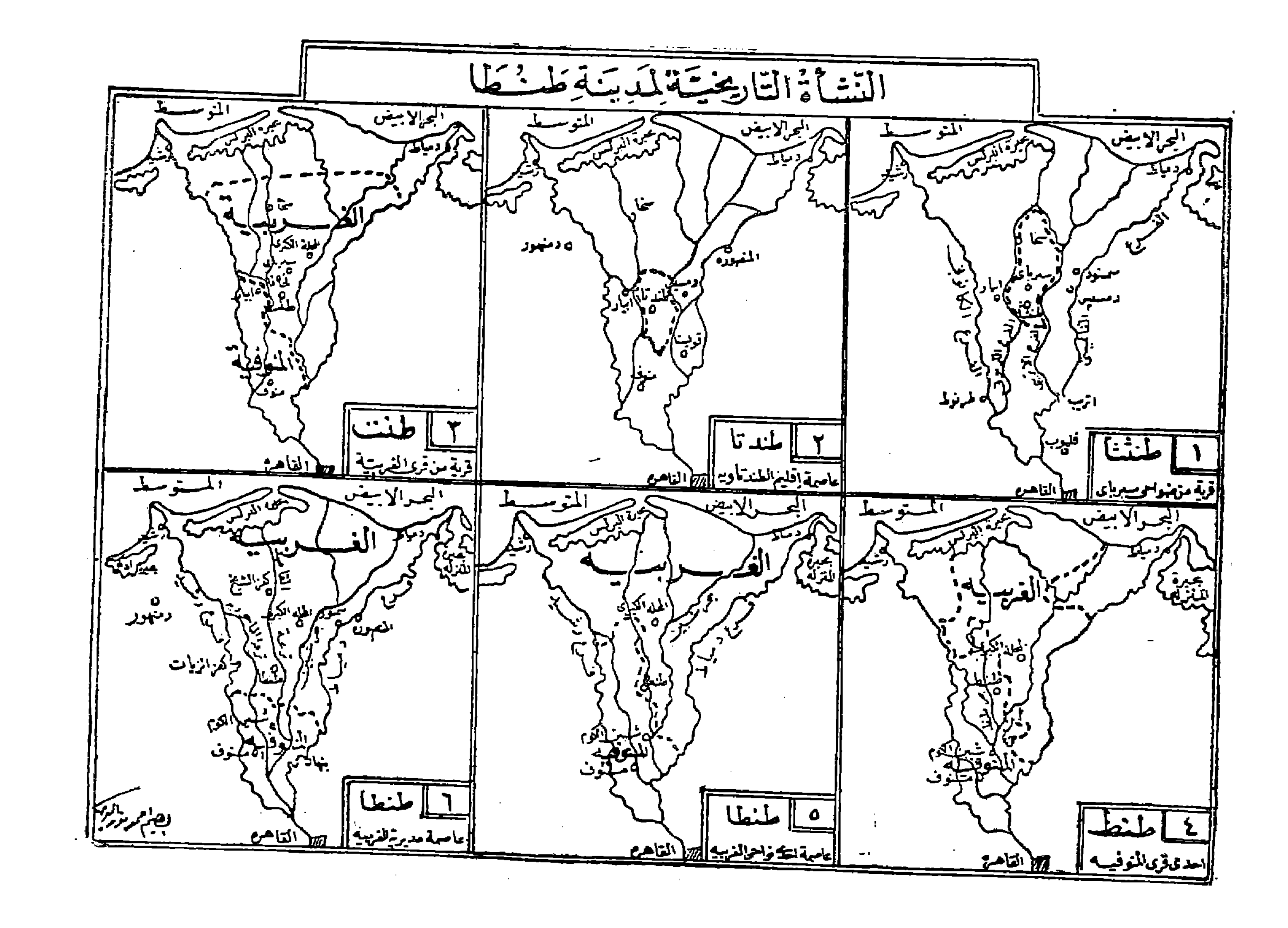
اتصل ببعض مريديه ليمهد له حياة هنيئة بطنطا فتسرب الخبر الى الشيخ سالم فأنبأ به (١) .

وكان يحكم مصر في ذلك العهد الملك العادل بن الكامل الأيوبى وهو شاب شغل عن شئون الملك بملاذه وشهواته ، فعزل فى ذى القعدة من السنة نفسها التى حل فيها البدوى بمصر سنة ٦٣٧ هـ وتولى بعده أخوه الملك صالح نجم الدين أيوب بن الكامل سنة ٦٣٧ ـ ٦٤٧ هـ .

---

(١) لا يزال قبر الشيخ سالم قائما الى الآن قرب مسجد البدوى بطنطا .

النشأة التاريخية لمدينة طنطا



الاماكن التى عاش فيها البــــدوى فى طنطــا

نزل البدوى بطندتا « طنطا » وهى قرية قديمة عرفت قبل الفتح الاسلامى باسم « طنتتا » ثم حرف هذا الاسم بعد الفتح العربى فصار « طندتا » .

وفى القرن الخامس الهجري عنى الفاطميون بها عنـــاية كبــيرة واتخذوها عاصمة لأحد اقاليم مصر السفلى فى عهد الخليفة المستنصر (٤٢٧ — ٤٧٨ هـ) وعرف اقليمها باسم الطندتاوية .

ثم عرفت طندتا فى عهد المماليك البحرية باسم « طنت » وكانت احدى قرى الغربية فى الدلتا .

وفى عهد الحملة الفرنسية عرفت باسم « طنط » وكانت تابعة لاقليم المنوفية ثم اشتهرت باسم « طنطا » وعادت الى اقليم الغربية فى عهد محمد على وصارت عاصمة لأحـد اقسام الغربية ، وفى سنة ١٨٣٦ م صارت طنطا عاصمة لاقليم الغربية ، وكان عباس حفيد محمد على الكبير اول مدير لها وقد اخذت المدينة فى الاتساع وعظمت اهميتها بعد ان مر بها الخط الحديدى بين القاهرة والاسكندرية .

ولقد عظم شـأن طندتا « طنطا » بعد نزول البدوى بها ، فصارت مهبط المريدين والمتصوفة من اتباعـــه وانصاره كما افادت كثـيرا من موالده وزائريه .

وأول دار نزل بها البدوى بطندتا دار الشيخ ركن الدين « ركين » الذى كان يتجر فى العسل والزيت والحبوب فى حانوت له بابان .. احدهما خاص بالبيع والآخر متصل بمنزله ، وقد قضى البدوى فى هذا

المنزل نحو ١٢ سنة . نال الشيخ ركن الدين فى اثنائها خيرا عميما . ولما مات الشيخ ركن الدين انتقل البدوى الى دار أخرى مجاورة : وهى دار ابن شحيط شيخ الناحية ، وكانت تقع فى سفح تل عال . وظل بها حتى مات ، ولأن البدوى عاش فى تلك الدار الأخيرة نحو ست وعشرين سنة ، فان أكثر الرواة يشيرون اليها فى رواياتهم ، دون أن يذكروا شيئا عن دار الشيخ ركين .

كان البدوى يتعبد فى أثناء وجوده بطنطا بمسجد «البوض» المعروف الآن باسم «مسجد البهى» وتدل حالتــه على أنه حقا أقدم المساجد بطنطا لأنه بنى على ربوة ولأن مئذنته ذات أضلاع وعليها برج مغلق على نظام مئذنة جامع الحاكم بالقاهرة .

وكان لهذا المسجد شأن عظيم فى تاريخ البدوى ، فقد سكن بالقرب منه وكان يتعبد به ، ويحتفل فيــه كل عام بافتتاح المولد الكبير . وكذلك باختتامه .. فيصلى فيه خليفة البدوى صلاة الجمعة فى آخر يوم من أيام ذلك المولد ويبدأ منه ركب الخليفة بعد الصلاة .

حياة البدوى بطنطا :

وقد اعتاد البدوى منذ نزل طنطا أن يجلس على سطح منزله على عادة سكان البطائح من الرفاعية بالعراق حيث كان يجلس شيخهم أحمد الرفاعى على السطح ليسمعه سكان القرى المجاورة اذا ما تكلم(١) .

وقد تجلت حياة البدوى الصوفية بطنطا فى أروع مظاهرهــا . فكان يصوم النهار ويقوم الليل عابدا مسبحا بحمد الله ، لا يقصد بذلك الا مرضاة وجه ربه الأعلى .

وكان اذا ظهر عليه الوله صاح صياحا عاليا ، وأخــذ يبكى ويتطلع الى السماء حتى تحمر عينــاه ، وتصف دائرة المعارف الاسلامية حال البدوى بطنطا فتقول : كان يصعد الى سطح بيت معين ، ويرفع عينيه صوب الشمس حتى تحمرا وتمرضا وتصبحا أشبه شىء بالجمرتين وكان تارة يطول صمته وتارة يتصل صراخه وكان يمتنع عن الزاد والشراب ما يقرب من الأربعين يوما(٢) .

(١) الطبقات : ص ١٩٥

(٢) المجلد الاول : ص ٤٦٦ .

العصر الذى عاش فيه

البدوى صورة صادقة لعصره :

أقر مؤلفو دائرة المعارف الاسلامية لأحمد البدوى « أنه باعتباره من المتصوفة والأوليـــاء ــ قد تركزت فيه شتى رغائب معاصريه وميولهم ، بل رغائب الذين سبقوه والذين جاءوا بعده أيضا(١) .

ولا جدال فى ذلك فأحمد من الصوفية القليلين الذين ذاع صيتهم واشـــتهر امرهم فى مصر خاصة ، والشرق عامة ، فى القرن الســابع الهجرى . وكانت طريقته الأحمدية من أعظم الطـــرق انتشارا بمصر . وعرفت أخيرا باسم « المقامتية الأحمدية » نسبة الى مقام السيد البدوى .

ويلزم الحديث عن عصره أن نتعـــرض للعصر الذى سبقه والعصر الذى لحق به ، حتى نستطيع أن نلمس بيقين الصورة المعبرة بحق عن آثاره الصوفية وفضله على المتصوفة فى عصره وما بعـد عصره ، لنرى كيف كان جديرا بالاقرار الذى يقول « كان البدوى صورة صادقة معبرة أصدق التعبير عن العصر الذى عاش فيه » .

ففى العصر الذى سبقه كان التصوف فى القرنين الخامس والسادس قـد انقسم من حيث اعتقاده وسلوكه الى شـعبتين احداهما متطرفة بتصوفها ، معتنقة مذهبا فلسفيا نظريا أخضعته لمنطق العقل الى أبعد حدوده ، وقد أثر أصحاب هذه الشعبة المتطرفة فى السياسة تأثيرا كبيرا قامت بمقتضاه بعض الدول كدولة الفاطميين والموحدين والمرابطين .

وأما الشعبة الثانية فكانت سنية معتدلة لها فلسفتها الروحية التى تعتقد بنظرية الفيض والالهام وتعمل بالـكتاب والسنة ، فكان تصوفهم سلوكا عمليا وكان لابد من الصراع العلمى والعملى بين الشعبتين الصراع الذى

---

(١) المجلد الأول : ص ٤٦٩ .

دام طوآل هذين القرنين الا انه ما ان أوشك القرن السادس على الانسلاخ حتى قوى نفوذ الشعبة المعتدلة التى تزعمها فى هذا القرن أئمة ثلاثة لهم تقديرهم واحترام آرائهم لدى العلماء والصوفية. وهم الغزالى والجيلانى والرفاعى رضى الله عنهم • حتى انتشرت فلسفة الغزالى الصوفيـــة • وازدهرت بالعراق طريقة القادرية والرفاعية مما أثر ذلك فى القرن السابع الذى ظهر فيه السيد البدوى رضى الله عنه •

فمن دراسة هذا العصر نتبين أن التصـــوف الذى كان قد انتصر نفوذا وشهرة وانصارا ودعوة على التصوف الفلســـفى بزعامة الائمـــة المذكورين الذين أثروا على تصـــوف القرن السابع الذى ظهر فيـــه البدوى رضى الله عنه •

ففى نهاية القرن السادس الهجرى كانت فلسفة التصـــوف قد عادت الى بساطتها التى اتسمت بهـــا فى عصرها الأول (دور النشأة) فقد دعا الحسن البصرى رضى الله عنه الناس الى اعتناق هذه الفلسفة الواضحة التى كانت تدور فى اطار كتاب الله وسنة رسوله ، حيث كانت الثقافة الدينية لم تختلط بعد بنظريات الثقافة القديمة .

عصر البدوى :

وظهر البدوى رضى الله عنه بتصوفه فى مطلع القرن السابع الهجرى مقتفيا مبادىء الشعبة السنية المعتدلة التى يسميها الامام ابن تيميـــة (صوفية الحقيقة) الذين تمت لهم الزعامة الصوفية فى ذلك العصر • وأسس طريقته التربوية على ثلاثة أسس هى الكتاب والسنة والأخلاق الفاضلة •

وبالرجوع الى مبادئه وتعاليمه ووصاياه وآرائه ، يتبين لنا بوضوح ما ارتكزت عليـــه طريقته الصوفية وتربيته الروحية ولذلك قد تسارع الناس الى سلوك طريقته وانتهاج تربيته منذ أن استقر فى طنطا وانتشرت أراؤه ومبادئه على أيدى تلامذته الذين نشرهم فى القرى والمـــدن . فى هذا العصر الذى اتسم بهذه الصورة الصوفية ، واصطبغ بتلك الصبغة العلمية ، وامتاز بهذه الأحداث التاريخية ـ كان البدوى قد ظهر وليـــا من أكبر الأولياء ، وزعيما صوفيا من أبرز الزعماء ، وشيخا جليلا من شيوخ التربية الأجـــلاء ، حتى أرغمت حياته الطيبة المباركة أعداءه فى دائرة معارفهم على أن يصفوه (بأنه قد تركزت فيه شتى رغائب وميول عصره ومعاصريه وكذا الذين سبقوه وأتوا بعده) •

البدوى والعلماء :

يتبين لنا من تاريخ البدوى أنه كان ذا أهلية علمية فائقة تتلمـــذ عليها شيوخ العلم ، وأعلام العلماء الذين اشتهروا فى البقاع المختلفة من العالم الاسلامى فى عصره . فقـــد ســـبقه فى القرن الســـادس الغزالى

والجيلانى والرفاعى على رأس نخبة من العلماء والمتصوفة فى مصر والعراق والشام والمغرب .

وحين كان فى طنطا كان بالشام الشيخ الأكبر محيى الدين بن عربى الذى يعده الصوفية من أكبر فلاسفتهم . وقد اشتهر أمره هناك ورحل كثيرا شرقا وغربا ، ونشأ نشأة روحية تماثل نشأة البدوى وزار ابن عربى مصر والحجاز والعراق ودمشق التى اتخذها مستقرا له وتوفى بها عام ٦٣٨ هـ - ١٢٤١ م كما اشتهر فى مصر نفسها فى ذلك العصر كثير من أجلاء العلماء الصوفية الذين اشتهروا شهرة البدوى ، فكان يشتهر بالاسكندرية الشيخ الجليل (أبو الحسن الشاذلى) الذى عمت شهرة طريقته فى مصر ومعظم العالم العربى والاسلامى ، وما يزال يزدهر أمرها ازدهارا له أثره فى محيط الصوفية ، فقد نشأ بقرية شاذلة شمال افريقية وبدأ أمره من العلماء الزاهدين ، واشتهر علمه وفضله وصحب عددا من أجلاء الصوفية فى مقدمتهم الأصفهانى وابن مشيش وحج عدة مرات . واشتهرت طريقته أولا فى الاسكندرية حيث كان يعيش وترجم له كثير من الرواة والمؤرخين . وتوفى رضى الله عنه حين كان فى طريقه قرب القصير على البحر الأحمر يريد الحج عام ٦٥٦ هـ - ١٢٥٨ م .

وكان يعاصر الشاذلى فى الاسكندرية الشيخان الجليلان أبو القاسم القبارى . وأبو عبد الله الشاطبى اللذان يتوج اسمهما منطقتين كبيرتين من أحياء الاسكندرية . كما كان يشتهر أمر العالم الكبير المشهور الشيخ ابراهيم الدسوقى الذى يتصل نسبه كالبدوى بالامام على كرم الله وجهه. والذى بدأ حياته عالما تفقه على المذهب الشافعى ثم انتهج نهج الصوفية حتى اشتهر أمره بدسوق التى توفى بها عام ٦٧٦ هـ - ١٢٧٧ م بعد وفاة البدوى بعام واحد .

كما كان يشتهر فى القاهرة الشيخ أبو داود مسلم شيخ الطريقة المسلمية . كما اشتهر فى أواخر هذا العصر الشيخ الكبير أبو العباس المرسى الذى ولد بمرسية بالأندلس ونشأ بها ثم استقر بتونس حيث اشتغل بتدريس العلم بجامعها الكبير ثم صحب الشيخ الشاذلى الى مصر وعاش معه بالاسكندرية كما عاش بالقاهرة بعض الوقت . وكان فى عصره من أبرز العلماء الذين تصدروا حلقات العلم وتوفى بالاسكندرية عام ٦٨٦ هـ - ١٢٨٨ م . كما كان يعيش فى ذلك العصر صاحب الحكم الكبرى ابن عطاء الله السكندرى فحل أهل العلم والحديث ، الذى تعتبر حكمه من قوانين الصوفية ، والذى صحب الشيخين أبى العباس المرسى وياقوت العرشى .

هؤلاء هم أعلام العلماء والصوفية الأجلاء الذين كانوا نجوما متألقة فى العصر الذى عاش فيه شيخنا البدوى والذين لاتزال آثارهم الصوفية تشهد بما كانوا عليه من علم وتربية .

البدوى والحكام

والحديث عن الشق الآخر المتمم للعصر المذكور يلزمنا بعد أن أوضحنا الشق العلمى والروحى ، أن نتحدث عن الحكام الذين عاصرهم البدوى، وما ساد علاقته بهم من مظاهر وروابط .

فحين أراد البدوى أن ينشر طريقته والدعوة لها قام باصطحاب أخيه الحسن فى رحلة قصيرة الى العراق عام ٦٢٤ هـ ــ ١٢٢٧ م . فى عهد الخليفة العباسى أبى جعفر المنصور فزارا أضرحة الأولياء والصالحين بأقاليم العراق ولقيا من حفاوة الناس وتقديرهم الشىء الكثير حتى أنهم أرادوا باغراء البدوى على الاقامة فى العراق ببناء الأروقة والزوايا باسمه ، ولكنه لم يقبل وواصل الرحلة التى عاد منها الى الحجاز ليستقر قليلا ثم يتوجه بدعوته المباركة الى مصر ليستقر فى طنطا ، فعاصر فى هذه الفترة عددا من الحكام والسلاطين فى دولتى الأيوبيين والمماليك .

وأول هؤلاء الحكام كان الملك العادل بن الكامل الذى حضر البدوى فى عهده الذى كان يسوده الاضطراب فخلعه الشعب وولى أخاه نجم الدين الصالح أيوب . واعتبر الناس قدوم الشيخ الجديد عليهم فىمصر خيرا وبركة ، حيث استقر بالبلاد الأمن وعمها الرخاء بدل الفوضى والاضطراب . وفى عهد نجم الدين أيوب حدثت قصة الشيخ مع ابن دقيق العيد شيخ الاسلام . كما هاجم الصليبيون مصر بقيادة الملك الفرنسى لويس التاسع بعد مجىء الشيخ بتسع سنوات . فاشترك وأتباعه فى أكبر المعارك قرب المنصورة عام ٦٤٧ هـ ــ ١٢٤٩ م وتم فى هذه المعركة التى اشترك فيها أسر الملك لويس وهزيمة الصليبيين . ومات نجم الدين فى أثناء الحرب فتولى بعده عز الدين التركمانى بعد أن قتل توران شاه، وتزوج من الملكة شجرة الدر زوجة نجم الدين .

ثم تولى الحكم المظفر سيف الدين الذى استقل بحكم مصر • ويأتى ف ختام قائمة الحكام الذين عاصروا الشيخ ـ الظاهر بيبرس الذى انتقل فى عهد الشيخ الى جوار الله •

وهؤلاء هم الحكام الذين عاصروه وامتحنوا ولايته واختبروا فى العلم درجته فكانت علاقتهم به علاقة التعظيم والتكريم والاجلال • ويكفى أن نستشهد بأقوال الأعداء فى هذا المقام (ان معاصره ـ الظاهر بيبرس ـ كان يقدسه وانه قبل قدميه) (١) •

والظاهر بيبرس كان أدهى السياسيين وأمكر الحكام الذين حكموا مصر فى عهد البدوى • وقد كان يسـير المواكب الرسمية من العاصـمة لزيارته فى طنطا •

وكان على بيبرس ، بعـد أن اسـتقرت له شئون الملك ، أن يتعقب الشـيعيين بالديار المصرية • ويقضى عليهم • حتى يكون فى مأمن من دسائسهم وخالطه الشك فى أمر « احمد البدوى » باعتباره أنه علوى متصوف •

لذلك خرج بيبرس سـنة ٦٦٢ هـ لزيارته ببـلدة طندتا (طنطا) والراجح أن زيارة الظاهر للبدوى قد تكررت فى سنة ٦٦٤ هـ • عندما خرج السلطان الى الاسكندرية لمباشرة حفر خليجها بنفسه •

ولم تكن زيارة بيبرس للبدوى الأولى والأخيرة من نوعها • فقد تكررت زياراته لكثير من أولياء مصر فى عصره •

---

(١) دائرة المعارف : ج ١ ص ٤٦٦ •

طريقتـــه فى التربية

أقر المؤرخون والرواة وفى مقدمتهم مؤلفو دائرة المعارف الاسلامية عن السيد البدوى رضى الله عنه بشىء يفوق مستوى العظمة ويدل بصدق على كمال الايمان وعلو الهمة • فقد وصفوه بأنه رضى الله عنـــه تركزت فيه شتى رغائب وميول معاصريه • بل رغائب وميول من سبقوه • ومن جاءوا بعده • واعتبروه من الرواد القلائل فى عالم المتصوفين الذين ذاع صيتهم واشتهر أمرهم وانتشرت طريقتهم ليس فى مصر فحسب ، بل فى الشرق الاسلامى كله فى القرن السابع الهجرى كما اعترف هؤلاء جميعا بأن طريقته الأحمدية • كانت فى ذلك العصر أعظم شأنا وأكثر انتشـــارا فى مصر حتى تفرع منها بعد ذلك أربع عشرة طريقة .

هذه هى اقرارات المؤرخين والرواة جميعا ــ ممن أحبوه ومن عادوه ــ كما كانت مبادئه تطبق على ثلاثة أسس قويمة هى (القرآن الـكريم • والســـنة المطهرة ومكارم الأخـــلاق) وهذا قوله لتلميذه الأول يبين فيه لأتباعه الأسس القويمة التى بنى عليها طريقته الصوفية • فقال رضى الله عنه (هذه طريقتنا مبنية على الكتاب والسنة والصدق والصفاء ، وحسن الوفاء ، وحمل الأذى ، وحفظ العهود) ولا شك أن هذا كله حثت عليـــه السنة المطهرة حيث كانت بعثة النبى ليتمم مكارم الأخــلاق التى امتدحه ربه عليها فوصفه بأنه بلغ فيها مبلغ العظمة • ومن هنا كان التصـــوف أخلاقا فقد قال رواده الأوائل (التصوف أخلاق فمن زاد عليك خلقا زاد عليك تصوفا) •

ومن أقواله لتلاميذه « من لم يكن عنده علم لم تكن له قيمة فى الدنيا ولا فى الآخرة . ومن لم يكن عنده حلم لم ينفعه علم . ومن لم يكن عنده سخاء لم يكن له من ماله نصيب . ومن لم تكن عنده شفقة على خلق الله

لم تكن له شـــفاعة عند الله . ومن لم يكن له صبر لم تكن له فى الأمور سلامة . ومن لم تكن عنده تقوى لم تكن له منزلة عند الله . ومن حرم هذه الخصال فليس له منزلة فى الجنة » .

وكانت رابطته بتلاميذه ومريديه قائمة على أســاس من الصــوفية الأخلاقية يفيد المجتمع الذى عاش فيه واتباعه من بعده . فقــد جـــاء فى وصاياه لعبد العال « يا عبد العال . اياك وحب الدنيا فانه يفســد العمل الصالح واعلم بأن الله قال فى كتابه : ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون » .

« ياعبد العال . اشفق على اليتيم . واكس العريان . واطعم الجوعان واكرم الغرباء والضيفان . عسى أن تكون عند الله من المقبولين » .

« يا عبد العال . عليك بكثرة الذكر . واياك أن تكون من الغـــافلين واعلم بأن ركعة بالليل أفضل من الف ركعة بالنهار » .

« ياعبد العال . لاتشمت بمصيبة احد . ولا تنطق بغيبة أو نميمة ولا تؤذ من يؤذيك . واعف عمن ظلمك . واعط من حرمك واحسن الى من اساء اليك » .

هذه هى اسس طريقته الصوفية . وتلك مبادىء تربيته الروحية . حتى استحق ذلك المربى العظيم أن يقول قولته المشهورة وحكمته المأثورة « الفقراء كالزيتون . منهم الكبير والصغير . ومن لم يكن فيه زيت فأنا زيته . لا بحولى وقوتى بل ببركة جدى صلى الله عليه وسلم » . وكانت هناك شروط يستلزم توافرها فى الذى يحمل لواء طريقته فهو يشترط فى حامل اللواء . « الا يكذب . ولا يأتى بفاحشة وأن يغض البصر عن المحارم . وأن يكون طاهر الذيل . عفيف النفس . خائفا من الله . عاملا بكتابه . ملازما للذكر . دائم الفكر » .

وهو كما ترى ـــ من شعبته الصوفيين السنيين المعتدلين الذين كانوا يرون ـــ كما رأى الغزالى ـــ « أن التصوف ـــ قبل كل شىء ـــ دراســة للسلوك ورسم للسيرة الفاضلة ، فلا حاجة به الى نظريات فلسفية دقيقة . ولا الى أبحاث نفسية عميقة . وكل مايعتمد عليه انما هو الطاعة والتقرب الى الله . والزهد والاعراض عن الدنيا . وقد يصل الطائع بعبادته الى مالا يصل اليه العالم بعلمه من رضا الله ومحبته » .

مبادىء البدوى وآراؤه :

لقد جاءت مبادىء البدوى وآراؤه دليلا واضحا على قدرته العلمية التى أشرت اليها فيما سبق . ذلك أنه كان يعتمد فى طريقته على الكتاب والسنة والخلق الفاضل .

وتتفق مبادىء البدوى وآراؤه مع الآراء الأساسية للزهاد المسلمين في جميع عصورهم غير انه لم يكن ممن يدينون بنظرية « وحدة الوجود » التي اشتهرت بين المتصوفة زمنا طويلا — فلم يؤمن بالحلول الحلاجي ، أو الاتحاد البسطامي بل كان يفرق بين الخالق « عز وجل » وبين مخلوقاته ومصنوعاته . ويوضح ذلك في قوله لعبد العال عندما سأله عن معنى « التفكير » : « تفكر في خلق الله وفي مصنوعاته ولا تفكر في ذات الله» .

ويطابق هذا التفسير قول النبي : « فكروا في خلق الله ولا تفكروا في ذات الله فتهلكوا » .

وللبدوى آراء واضحة فيما تكلم عنه المتصوفة ، كبيان الفرق بين الفقير والصوفي الأمر الذي تضاربت فيه آراء المتصوفة . وكان البدوى يميل الى تفضيل لفظ «الفقير» وقد ذكر شروطا خاصة رواها لعبد العال وكلها تتصل بالعبادة والزهد والقناعة . وغيرها من الصفات المتصوفة . ويروى الشيخ عبد الصمد هذه الشروط عن البدوى مخاطبا عبد العال فيقول (١) .

« للفقراء اثنتا عشرة علامة — رواية عن علي بن أبي طالب — وهي

أن يكون الفقير عالما بالله تعالى ، مراعيا لأوامره ، متمسكا بسنة النبي . دائما على الطهارة ، راضيا عن الله تعالى في كل حال ، موقنا بما عند الله ، آيسا مما كان في أيدي الناس ، متحملا للأذى ، مبادرا لأمر الله شفيقا على الناس متواضعا لهم ، عالما بأن الشيطان عدو له كما أخبره الله تعالى بقوله : « ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا » .

ويطابق رأى البدوى في تفضيل لفظ « الفقير » رأى اكثرية متصوفة عصره فيقول ابن تيمية في هذا الصدد : « وأكثر الناس قد رجحوا الفقير » ويعلل ذلك فيقول : « ولما كان جنس الزهد في الفقر اغلب ، صار الفقر في اصطلاح كثير من الناس عبارة عن طريق الزهد ، وهو من جنس التصوف ويقول مؤلفو دائرة المعارف الاسلامية «ان الاسم الشائع للمتصوفة هو الفقر » (٢) .

---

(١) الجواهر : ص ٥٦ .
(٢) المجلد الاول : ص ٦٨؟

مؤلفات السيد البدوى وقيمتها

لا ريب أن البدوى قد سجل ثمرات عقله فى عدة مؤلفات اختص بعضها بالتصوف السنى . واتصل البعض الآخر بالفقه الشافعى الذى اهتدى بهديه .

الا أن هذه المؤلفات لم يصل الينا منها الا النزر اليسير مما حافظ عليه السلف الصالح .

ومن المؤلم حقا ان يكون كثير من هذا القليل لا وجود له الا فى دور الكتب الأجنبية ، وخاصة فى باريس وبرلين وجوتا وليبزج والآستانة .

ولعل سبب ضياع هذه المؤلفات وخروج بعضها عن بلادنا يرجع الى فتح سليم الأول العثمانى لمصر سنة ٩٢٣ هـ « ١٦١٧ م » ونقله معه . عندما عاد الى الآستانة كل ما عثر عليه من كتب ومؤلفات . وتحف ونفائس . كانت ولا تزال تفخر بها متاحف الآستانة ، والمتاحف الأوربية التى شاركتها فى ذلك التراث الخالد والارث المجيد .

ومن اشهر مؤلفات البدوى ، التى اشار اليها مؤلفو دائرة المعارف الاسلامية وهى :

« صلوات » :

وهى مجموعة من الأدعية والصلوات وصفت للأتباع والمريدين ، وقد شرحها ، ونشرها « عبد الرحمن بن مصطفى عبد روس » احد مشاهير الصوفية فى القرن الثانى عشر فى رسالة جديدة بعنوان « فتح الرحمن » وذلك بين سنتى ١١٣٥ ، ١١٩٢ هـ وهذه الرسالة مسجلة بدار الكتب بالقاهرة .

« وصايا » :

وهى مجموعة من الوصايا والعظات فى شكل جمل وعبارات عامة ليس لها طابع شخصى . ولكنها تتفق مع آراء البدوى الصوفية ، وقد وجهها الى عبد العال لتكون دستورا له ولأتباعه والمريدين من بعده ، ينسجون على منوالها ، ويترسمون خطاها .

« الاخبار فى حل الفاظ غاية الاختصار »

وهو مخطوط كتبه شخص يدعى ابراهيم سنة ٦٣٩ هـ اى بعد نزول البدوى بطنطا بسنتين ، ويرجح أن يكون ابراهيم هذا هو أحد المريدين الذين كانوا يكتبون للبدوى رسائله ومؤلفاته .

وبهذا الكتاب شروح طويلة فى الفقه ، والمعاملات ، والأحوال الشخصية على مذهب الامام الشافعى ، وقد اشار اليه الظواهرى فى مذكراته فقال :

ويظهر انه « البدوى » قد بلغ من الأهمية العلمية مبلغا كبيرا ، فانه قد عثر على مؤلف فى مذهب الامام الشافعى منسوب الى سيدى احمد البدوى .

وقد ورد للبدوى « حزب » مختصر خاص به . كما ورد لغيره من متصوفة عصره .

تصوفه ـ ودرجته الصوفية

وقد انتشرت مبادئه وآراؤه على أيدى « السطوحية » اتباعه الأوائل وتلامذته الذين سارعوا الى نصرته واعتناق مذهبه فى التصوف منذ هبط طندتا «طنطا» وقد امتاز التصوف فى القرنين السابقين لعصر البدوى بفلسفة واضحة بسيطة قامت على دعامتين اثنتين هما القرآن والسنة دون تعمق فى نصوصهما أو تأويل فى معانيهما . كما أن الامام حسن البصرى دعا الناس فى عصره الى هذا النوع من التصوف القائم على الدعائم المذكورة .

وفى عهد العباسيين راجت حركة النشر والترجمة والتاليف مما اثر بشكل ملحوظ فى التصوف . فأصبح فى ذلك الحين مذهبا يقوم على الفلسفة المتعمقة مما أكثر من حوله الأنصار والأتباع وانتهى عهد العباسيين وما تلاه من عهود على العالم الاسلامى . وحاول التصوف أن يقوم على تلك الفلسفة وهذه الأسس . وقبل نهاية القرن السادس الهجرى وجد فى محيط التصوف من يدعو الى العودة بالتصوف الى الكتاب والسنة وقام الامام الغزالى بتأييد هذه الدعوة . وأيد دعوته أحمد الرفاعى وعبد القادر الجيلانى وكنتيجة طبيعية فى الصراع بين أهل مذهب واحد . ظهر فى عالم التصوف فرقتان ، فرقة تطرفت فى منهجها فاعتنقت التصوف النظرى فطبعوا مذهبهم بالفلسفة التعمقية ، وخضعوا فى سلوكهم الصوفى لحكم العقل .

والفرقة الأخرى اعتدلت فى مشربها واخذ اصحابها سلوك التصوف العملى وكانوا فى ذلك « سنيين » يؤمنون بنظريات الفيض والالهام ويسلكون فى أعمالهم طريق القرآن والسنة وسموا مذهبهم هذا « تصوف الحقيقة » .

واشتهر من المتصوفة فى القرن السابع الامام الغزالى والقطبين الرفاعى والجيلانى .

وكان للسيد البدوى الفضل الأكبر فى دعم السلوك السنى للتصوف حتى تخلص مما شابه من نظريات فلسفية .

وكان البدوى وأخوه الحسن قد زارا العراق زيارة سريعة وعادا الى مكة ثم اتجه البدوى الى مصر ليستقر فيها حيث كانت منذ دخلها الاسلام من أهم مراكز الدولة الاسلامية .

وفى عصر الدولة الفاطمية كان التصوف قد اصطبغ بنوع جديد من السياسية كان له أثر كبير فى نجاح الدولة الفاطمية ثم نشرت الدولة الأيوبية المذاهب السنية بدلا من الشيعة . وكان للمتصوفة فى عهد الدولة الأيوبية شأن كبير ظل كذلك حتى عهد المماليك الى أن صار لهم عند الناس من الحب والاحترام ما ليس مثله للامراء والحكام وها هو الشيخ عفيف الدين اليافعى أحد المتصوفة بعد عصر البدوى يعبر عن تلك المكانة فيقول :

أخى نحن والله الملوك بفقرنا
لنا الملك فى الدارين والعز والغنى

نولى ونعزل والملوك جميعهم
لنا خدم والذل يجزون والعنا

فى هذا الجو الصوفى المفعم بالحب والاكبار والتكريم للتصوف والمتصوفة من الحكام والشعب شد البدوى الرحال الى مصر حيث أشهر دعوته وتخرج فى مدرسته الصوفية الأبطال .

درجته الصوفية :

اشارت دائرة المعارف الاسلامية(١) « ويعتبر احمد البدوى منذ أجيال قطبا . فيما يعرف عادة بالقطابة » .

ودرجة القطابة تعتبر فى عرف الصوفية أكبر الدرجات الروحية . وكان البدوى يعتبر التصوف الطريقة التطبيقية لعلوم الشريعة التى بلغ فيها درجة أمامية كبيرة .

---

(١) ج ١ ص ٤٦٧ .

فاصبح البدوى زعيم مدرسة صوفية قائمة بذاتها ، فقد كان يرى التصوف كما رآه من قبله الامام الغزالى ، والشيخان الجليلان الرفاعى والجيلانى ـ تصوف الأخلاق الفاضلة والسلوك الحميد . وانتحى بأتباعه منحى التصوف السنى (صوفية الحقيقة) التى تجتمع بأصحابها على طاعة الله ، وحبه ، والتقرب الى حضرته ، بجهاد النفس والشيطان ، والتخلى عن الرذائل ، والتحلى بالفضائل ، وكان دليله فى ذلك ثناء القرآن الكريم على الرسول والتسليم بالعظمة والسمو فى الأخلاق التى اعلن صلى الله عليه وسلم انها الهدف الهام عن بعثته النبوية ، لاتمام مكارم الأخلاق .

بعض آرائه الصوفية

ومن تلك الآراء انه لا يؤمن بالحلول أو الاتحاد ، هاتان النظريتان اللتان أوردتا أصحابهما موارد الاتهام والشك . فقد سأله تلميذه الأول عن تفسيره لمعنى التفكير . فقال له « تفكر فى خلق الله ومصنوعاته ولا تفكر فى ذاته » ففرق بين الخالق والخلق ، تأسيا بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم «تفكروا فى خلق الله ولا تفكروا فى ذاته فتهلكوا» .

والبدوى فى ذلك قد عاد بالتصوف الى مذهب البساطة القرآنية والوضوح السنى ، والسلوك الأخلاقى ، فيكون قد تزعم مدرسة التجديد والعودة التى نادى بها ـ كما قلنا ـ قبله الغزالى حجة الاسلام . ولكن للبدوى الفضل الكبير فى تأكيد ذلك وتنفيذه مذهبيا ، وتطبيقه حين السلوك العملى .

وليس ادل على ذلك من تفسيره لعدة اصطلاحات تصوفية ، حار فيها المتصوفة طوال قرنين سبقا عصره ، واختلفت تفاسيرهم لها ، بما كان موضع الجدل المستمر فجاء البدوى العظيم وأعلن تفسيره الواضح البسيط ، ولكنه التفسير الجاد الهادف فى نفس الوقت .

ويكفى هنا أن نشير الى تفسيره الفريد المميز لبعض المصطلحات الصوفية التى اختلف فيها القدماء طويلا . فهذا تفسيره للايمان وقد اعتبره اثمن شىء فى الحياة للانسان فهو يفسره للأتباع بقوله :

« أحسنكم اخلاقا أكثركم ايمانا بالله »

وهذا تفسير لحقيقة الذكر بقوله : (اذكر الله بقلب حاضر . واياك والغفلة عن الله . فانها تورث القسوة فى القلب) .

وهذا تفسيره لحقيقة الصبر وهو عنده :

(رضا بحكم الله ، وتسليم لأمره ، وفرح بالمصيبة كالفرح بالنعمة) .

وهذا تفسيره للزهد وهو عنده :

(مخالفة للنفس بترك الشهوات ، وأن يترك المريد سبعين بابا من الحلال ، خوفا من وقوعه فى الحرام) وهــــذا تفسير للتوبة النصوح وهى عنده :

(ندم على الذنب ، واقلاع عنه ، واستغفار باللسان وعزم على عدم العودة الى المعصية وصفاء القلب) •

هذه التفسيرات الهادفة الجادة جعلت المستشرقين فى دائرة معارفهم يسجلون له أنه (من فلاسفة التصوف الاسلامى) •

كما اعترفوا له بأنه (تزعم متصوفة مصر ، وكان أكبر أوليائها فصار محل احترامهم منذ أجيال وقرون)(١) •

---

(١) ج ١ ص ٤٦٧

حيــاة البــدوى الروحية

قدرة البدوى الروحية :

كانت حياة البدوى الروحية اصدق مثل لأولئك الصوفية الأطهار الذين امتـلأت قلوبهم بالحب الربانى ، وتهذبت نفوسهم حتى سـمت الى مرتبة الفيض الالهى ، فلم يكونوا من طلاب الجنة بل كانوا من عشاق رب الجنة .

كما كانت حياته صورة لأولئك الصوفية الأبرار الذين صـيرهم الحب الربانى أقباسا روحية ، وجعل حياتهم أوتارا دقاقا تصدح بأعذب الألحان فى عالم الأرواح والأذواق .

وامثال هؤلاء المتصوفة قـد كثر أتباعهم ، والتف حولهم مريدوهم لأنهم عرفوا كيف يتوجهون الى الجماهير فيخاطبونها بلغة القلب والروح التى هى أعذب وأيسر من لغة العقل والمنطق .

وسط هذا التسامى الروحى ، وحول منهل هذا الفيض الالهى ، كان للبدوى القدح المعلى والنصيب الأوفر ، فكان يأتى اليه الرجـــل وقـد علته الـكآبة وأسقمه المرض ، فيخرج عن حضرته وقد امتلأ قلبه بالحب الربانى ، وسلمت نفسه من الرجس والدنس فيوجهه حيث شاء على بركة الله ، فلا يلبث الا أن يكون شـيخا بين أهله وعشيرته ، ينشر مبادىء أستاذه البدوى على طريقته الأحمدية ، ويصف الظواهرى قوة البدوى الروحية فيقول :(١)

---

(١) الظواهرى : ص ٩ .

« ولسيدى احمد البدوى فى هـذه التربية الروحية القدح المعلى والنصيب الأوفر ، فقد تواتر انه كان يأتى اليه الرجل البسيط القروى ، فلا ينقلب الى اهله الا وقـد امتلأ بالحب الربانى . والكمال النفسانى ، وتحول من الحيوانية الى الملكية الانسانية ، ولا يعلم الا الله قـدر من انتفعوا على يديه من هذه الوجهة مباشرة أو بالوساطة » .

ألقـاب البدوى

كانت لأحمد عدة القاب مختلفة المعنى ، متفقة المرمى ، ذات قيمة عظيمة فى تفسير حالاته وبيان صفاته : تدل بصفة قاطعة على أنه لم يكن الا صوفيا شغله التصوف عن كل شىء ، فنسى كل شىء الا ربه ، ولم يطمع فى شىء الا فى رضائه ، وقد أجمع فلاسفة التصوف على ما لتلك الألقاب من دلالة صوفية لا مراء فيها ، فضلا عن انه من المسلم به نظريا أن الصوفى الحقيقى لا يبغى الدنيا وزينتها ، ولا يجوز لنا أن ننسب لمثله غير ذلك .

ولم يكن أحمد ليتخذ هـــذه الألقاب أو بعضها ستارا يخفى وراءه اغراضا سياسية أو آمالا وأمانى دنيوية كاولئك الذين ادعوا التصوف لأغراض فى نفوسهم فافتضح امرهم وخسروا الدنيا والآخرة •

واليكم القاب أحمد التى اشتهر بها طوال حياته ..

« السيد » :

ومعناه الرئيس أو الزعيم ، وقد اشتهر به زعماء الشيعة وبخاصة الاسماعيلية منهم ، الذين كانوا يسمون رئيسهم « السيد » أو « سيدنا » أو « شيخ العرب » •

وكان لقب « السيد » كثير الذيوع بين العرب وخاصـــة فى شمالى افريقية ، حيث نشأ البدوى نشأته الأولى ، وقد انتشر هذا اللقب أيضا فى الأندلس منذ نهاية القرن الحادى عشر الميلادى •

« البــدوى » :

نسبة الى سكنى البـــادية ، حيث درجت أسرة أحمد وحيث عاش أجداده زمنا طويلا • ويرجع أصل هذا اللقب أيضا الى أن أحمد كان يضع

لثامين على أسفل وجهه جريا على عادة البـــدو فى شمالى افريقية من المرابطين الملثمين من البربر •

ويطابق ذلك ما رواه الرواة عن تعليل لفظ « البدوى » •

« الملثم » :

وهو متصل بلقب البدوى • ولكن لما كان بعض العرب لا يضعون اللثام ، فقـد خص بدوينا بالملثم تمييزا له عن أولئك البـــدو الذين لا يضعون اللثام •

ويسمى اللثام أيضا (الكنبوش) وقد عرفه المستشرق (دوزى) بقوله : « والكنبوش • اللثام الذى يستعمله أهل بلاد المغرب لتغطية الوجه من الذقن الى الخيشوم اتقاء لبرودة هواء الصباح ورطوبته » .

وقد كان الكنبوش من الملابس السلطانية عند المماليك ، واذا خرج السلطان الى الصيد فى احدى جهات الريف ، كان الكنبوش من الهدايا النفيسة التى يقدمها لرجال بلاده من الأعيان وعلية القوم(١) .

وقد اتخذ البدوى على وجهه لثامين • وقد أشاع الأتباع والمريدون ان السيد كان يتلثم ليستر ما أفاض الله عليه من النـــور وشدة الهيبة والنظرة فقد حدث الشعرانى فى طبقاته أن سيدى عبد المجيد وهو من اتباع السيد ومريديه الأوائل اشتهى يوما رؤية وجه سيده أحمد فقال : يا ســـيدى ، أريد أن أرى وجهك وأعرفه ، فقال يا عبد المجيد كل نظرة برجـــل • فقـــال : يا سيدى أرنى وجهك ولو مت ، فكشف له اللثام الفوقانى فصعق ومات فى الحال » •

« الفتى » :

وكنيته (أبو الفتيان) وهما من الفتوة التى كانت من أعظم مظاهر الشجاعة عند شباب ذلك العصر •

ولقد اشتهر البدوى بالشجاعة التى هى دليل الفتوة المادية كما انه كان به من الزهد والورع والعلم بأمور الدين ما هو دليل الفتوة الصوفية •

وكان أخوه الحسن يقول فيه (ما رأيت بين فرسان مكة والمـــدينة أشجع من أخى أحمد) •

« العطاب » :

وله معنيان ، أحدهما مرتبط بالفتوة المادية وما يتصل بها من شجاعة الفارس ، وقدرته على اصابة غريمه بالعطب ولهزيمته والآخر متصـــل

---

(١) الخطط التوفيقية : ج ١٢ ص ٣٤

بالفتوة الصوفية اذ العطب فى نظرالمتصوفة ما يقع من الضرر لمعارضيهم.

وقد اشتهر البدوى بالعطاب لكثرة ما كان يقع لمن يؤذيه من الناس •

ويقول حسن « أخو البدوى » فى هذا الصدد :

« ولم يكن فى مكة والمدينة من الفرسان أشجع ولا أفرس من أخى أحمد فسميته العطاب محرش الحرب »(١) •

« **الزاهـــد** » :

لازم هذا اللقب أحمد منذ صغره كما قدمنا ، فاشتهر به فى بــلاد المغرب عندما ألبسه الشيخ عبد الجليل النيسابورى خرقة التصوف فى فاس وهو لايزال فى المهـــد صبيا . وفى ذلك ما يقول أبو الســـعود الواسطى : « وكان يدعى وهو صغير بأحمد الزاهد » .

« **القطب** » :

أسمى وأعظم القاب الصوفية وسمى به أكبر الأولياء بعد الصحابة •

« **القــدسى** » :

نسبة الى ميل البدوى الى العبادة والتقديس ، وقد تكون النسبة الى (قدس) أى الروح القدس ، ومعناها سمو الروح الى مكانة الروح القدس كما حــدث لعيسى عليه السلام ، وقد تكون لعدم اقبال البدوى على الزواج وميله الى **العبادة** •

« **الصامت** » :

مال البدوى وهو بمكة بعد عودته من العراق الى الصمت فكان لايتكلم الا بالاشـــارة زيادة فى الزهـــد ، وتقليـــدا للرفاعى الذى كان يقول (أمرت بالسكوت) •

ويعتقد المتصوفة أن الصمت من أهم مظاهر حياتهم ، حتى لا يكون لهم مثل مصير الحلاج ، فللصوفية مبادىء وآراء عميقة ونواح تبدو معقدة يجب التريث عند عرضها على الجمهور • وقد جاء فى الحكم : « العبادة عشرة أجزاء ، تسعة فى الصمت ، وواحدة فى العزلة » .

« **الولى** » :

وهو المنجــد او النصير ، والجمع أولياء ، وفيهم نزل قوله تعـالى « ألا أن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون » ويرى ابن تيميه :

---

(١) الجواهر : ص ٢١ .

« ان اولياء الله هم المؤمنون المتقون سواء سمى احدهم فقيرا أو صوفيا او فقيها أو عالما أو غير ذلك باطلاق عام»(١) .

ويظهر أن المتصوفة أدركوا ما لهـذا اللفظ من المعانى المتعددة والدلالات المختلفة فلم يدخلوه ضمن القابهم التى اشتهروا بها .

« مجيب الأسارى » :

ومعناه منقذ الأسرى من ايدى الصليبيين ، ففى النصف الأول من القرن السابع الهجرى تعرضت مصر فيه لهجوم الصليبيين ، ووقعت الحرب سجالا بين المسلمين والصليبيين ووقع بعض المسلمين فى أسر الفرنجة .

ويتصل بهذا اللقب عبارة عامية انتشرت بين أفراد الشعب المصرى وهى « الله . الله . يا بدوى جاب اليسرى » .

« مفرج الكروب » :

وكنيته (أبو فراج أبو الفرج) وقد وصفته دائرة المعارف الاسلامية بانه « اكبر اولياء مصر ومفرج الكروب منذ عهد طويل»(٢) .

« العارف بالله » :

وقد ظهرت كثير من الكرامات لسيدى أحمد البدوى حتى لقبه الناس « العارف بالله » .

« أبو العباس » :

معنى العابس أو العابوس أو العباس هو الأسد . وقد اشتهر بالشجاعة والبسالة كما ذكره اخوه حسن .

« بحر العلوم ومعنى قوله سواقى تدور على المحيط » :

ولقد لقب به وقد اشار لذلك الشيخ الدرينى بعد أن تناقش معه فى بعض المسائل العلمية فكان اذا سئل عنه يقول **هو بحر لا يدرك له قرار.**

والمعنى الحقيقى لهذه العبارة أن معارفه وأسراره وعلومه متنوعة تنوعا كثيرا ومستمدة من حضرة الرسول صلى الله عليه وسلم مقتبسة منه بطريق مباشر ويصف تنوعها بان معارف أهل الدنيا لو فقدت ما نفدت معارفه ، وهناك القاب اشتهر بها وهى :

ندهة المنضام ــ دليل الحيران ــ باب النبى ــ السطوحى الصالح ــ المعتقد .

---

(١) الصوفية والفقراء : ص ٢٥ .

(٢) دائرة المعارف الاسلامية :ج ص ٦٦٨

عادات البـدوى

ولما كانت عادات المرء تنم دائما عن أخـلاقه وآرائه وأفـكاره ، فالانسـان مجموع عادات والمرء أسير عاداته كان الرجوع الى دراسة البدوى من صباه الى كهولته في ثبت واضح ، من أهم العوامل التى تفسر لنا بعض ما غمض عن نواحى حياته ، وتحيط اللثام عما أحاط بقـدرته الروحية من الغموض والابهام واليكم بعض العادات •

« **العبادة بالصيام** » :

روى السيوطى أن البدوى لازم الصيام ، وواظب عليـه حتى كان يطوى اربعين يوما لا يتناول فيها طعاما ولا شرابا ، وهو فى أكثر حالاته شاخص البصر الى السماء وعيناه كالجمرتين ، وذلك بعـد رجوعه من العراق الى مـكة . ثم زاد على ذلك ـ بعد ما دخل مصر ـ القيام على السطح والصياح أحيانا اذا عرض له الوله .

« **العبادة بالقيام** » :

وقد كان البدوى يقوم الليل يتلو القرآن ويقيم الصلاة لأنه كان يرى ـ كما أشار فى وصاياه لعبد العال ـ « ان كل ركعة بالليل افضل من ألف ركعة بالنهار » .

« **عدم العناية بالملبس** » :

وهو مظهر من مظاهر الزهد في الدنيا وزينتها ، لجأ اليه البدوى متابعة للرفاعى الذى انتهت اليه الرياسة فى علوم الطريق وشرح أصول القوم ، وشغف به البدوى فزار قبره وأتباعه بالعراق •

ومن أقوال الرفاعي المأثورة في هذا الصـــدد قوله « أحب لجميع أصحابي الجوع والعرى والفقر والذل والمســكنة ، وأفرح لهم اذا نزل بهم ذلك » .

« حب التوصل » :

نشأت هذه العبادة مع البدوى لأنه — في الأصل — من عرب البادية الذين يعتزون بشخصيتهم وكرامتهم ، ويعتدون بأنفسهم الى حد بعيد .

وقد تأصلت في نفس البدوى تلك العادة بعد أن اشتهر أمره بطنطا ، وكثر حوله الأتباع والمريدون ونصره الله نصرا مبينا فعبر عما كان يخالجه من روح الاعتزاز بالنفس والثقة بالله بقوله : « سواقى تدور على البحر المحيط ، واذا نفد ماء سواقى الدنيا كلها ، ما نفد ماء سواقى » .

غير أن التوسل بأحمــــد خالطته عناصر مصرية قديمة ، كما قرر بعض المستشرقين أمثـــال « ماسبيرو » و « ايبرز » و « جولد زيهر » أن أهل مصر قد اعتادوا زمن الفراعنة التوسل بآلهتهم وملوكهم .

ولما ظهرت المسيحية بمصر وانتشرت الرهبنة بسبب ظلم الرومان الوثنيين للمسيحيين ، شـــاع بين رجال الدين المسيحى من الـكرامات وخوارق العـــادات مثل كهانات الأنبـــا شنودة وكرامات القـــديس مار جرجس .

ولما دخل الاسلام مصر نهى عن كل ذلك . غير أن دراسة الصوفية تبعث على الخيال لاتصالها بأمور فوق طاقة عقولهم . ولم يسلم تاريخ البدوى من تلك القصص فقد سيطرت قوته الروحية على عقول الكثيرين وظنوا فيه القـــدرة على أن يأتى بالمستحيل فيحيى الموتى ويشفى الأبرص والأكمة ويبسط الرزق لمن يشـــاء ويقبضه عمن يشاء ، ولـكن حاشاه أن يفعل ذلك وهو الذى يقول لعبد العال : « انى أساعد الفقراء لا بحولى ولا بقوتى ولـكن ببركة النبى صلى الله عليه وسلم » .

ولا يزال بعض عامة المصريين متأثرين بمثل تلك الأساطير فـــيرى البعض أنه لزام عليهم أن يمروا بضريح البدوى صباح مساء ليضعوا أيديهم فى ثقب فى جانب المقصورة الغربى ثم يضعونها فى جيوبهم تبركا ورغبة فى بسط الرزق ، وغير ذلك من المظاهر التى لم يكن للبدوى دخل فيها ، وانما تناقلتها الأجيـــال بتأثير البيئة وبحكم التقاليد على مر الأيام حتى لقد صار التوسل والوساطة ملجأ لكثير من المصريين فى شئونهم المختلفة فى العصر الحاضر ولا حول ولا قوة الا بالله .

شـــخصية البــدوى

الشخصية والنجاح :

الشخصية القوية هى الدعامة الأولى والأداة التى لابد منها فى بلوغ الغاية وادراك النجاح عند أولئك الذين يتصدرون لحمل الدعوات وقياد الجماهير وجمع الأتباع والأنصار من حولهم • واذا كنا فى عصرنا الحاضر نرى كثيرا من الأسباب المهيـــأة التى تسعف الزعماء والمتصـــدرين ، وتساعدهم فيما يقصدون اليه من شدة التأثير بآرائهم وبسط النفوذ على من حولهم •

أقول : اننا اذا كنا نرى كثيرا من الأسباب التى تساعد طلاب الزعامة والقيادة فى أغراضهم مثل الاذاعة والخيالة والدعاية الصحفية وغـــيرها من الوسائل الآلية التى تضاعف فى قوة الشـــخصية وشدة نفوذها ، أو على الأقل تحجب نقائصها وتستر مواطن الضعف فيها ، فان السابقين من هؤلاء كانوا لا يجدون معينا فى هذا الا « قوة الشخصية » وحدها اذ كانوا يقفون من الجماهير وجها لوجه وينزلون الى غمارهم ويتحدثون اليهم ، ويحاولون أن يمســـكوا بزمام عواطفهم وعقولهم ، ومن ثم كانت مهمتهم اشق واصعب من مهمة امثالهم فى العصر الحاضر .

فالشخصية القوية هى الأساس الأول فى ادراك النجاح ، وهى قبل العلم والمواهب وهى وحدها القوة التى تقف بصاحبها فى مقاومة الحوادث، ومكافحة الظروف ، وتملأ نفســـه بالثقة والأمل ، وتسلس له القيـــاد الصعب الشموس ، فكأنها السر الذى يفض كل مغلق ، أو السحر الذى يخلب النفوس ويذهل العقول • ولقد كان (نابليون) على حق حين سمى أصحاب الشخصيات القوية بالرجال الذين خلقوا للنصر • وكان

الكاتب الأمريكى « آمرسون » أدق وأصدق اذا شبه السلطان الذى يكون لصاحب الشخصية القوية على ضعيفها بسلطان النوم اذا دب فى الأجفان فثنى الرءوس وأمال الأعناق .

لهذا قصـدنا الى الكشف عن شخصية السيد وما اجتمع له من المقومات فى ذلك حتى نتبين حقيقته ونتبـين الحقيقـة فى ذلك النفوذ الكبير الذى بلغه فى جمـع الأتباع والمريدين وتلك السيطرة التى تمت له ، وامتدت من ورائه الى اليوم كأقوى ما تكون . فأية شخصية كانت شخصية ذلك الرجل ؟ ..

« شخصية البدوى » :

اشتهر البدوى بقوة عزيمته ، واعتزازه بنفسه وتفانيه فى التمسك بمبادئه الحقة ، وبذل روحه وراحتـه فى سبيل الحصول على غايته ، ووصوله الى قمة المجد بعمله ، وصموده فى مواجهة الشدائد بمفرده ، وقوة جلده على تحمل شـظف الحياة وتكاليفها الشـاقة ، وحـدبه على الضعفاء وعطفه على الفقراء ، وتبوئه فى النفوس أسمى منزلة بقوة شخصيته ، ومساهمته فى تثبيت دعائم الحق وتقويم المعوج فى أمته .

« قوة عزيمته » :

عنوان شخصية الرجل قوة عزيمته . فالرجل القوى العزم هو الذى لا يعرف معنى هوادة ولا لين ، ولا يعترف باعتراض أية مشـكلة من مشكلات الحياة أمامه ، مهما كانت وكيفما كانت عظيمة .

ومن يمعن النظر فى سلوك سيدى أحمد البدوى يجد أنه بصدق عزيمته كأنه يسابق ركب الحياة ليسبقه ، ويناهض متن الوجود ليعلوه سبعون عاما من حياته ، يقضيها كلها فى طلب غاية واحدة وحاجة واحدة - يقوم لها الليل ويصوم لهـا النهار ، ويقطع لها لذيذ الطعام ويمتنع لأجلها عن الكلام ويفنى فى سبيلها حواسه وجوارحه فتتوقد عيناه فى طلبها كالجمر وتلتهب أحشاؤه من الشوق اليها حتى يصيح مستغيثـا وينادى مستجيرا ، ويقيم على ضيم فى سـبيلها عشرات السنين بين عشائر غير عشـيرته ، وأهل غير ذوى قرباه يهيم فى طلبها ولا يتحول الى غيرها بين قائم وسـاجد وذكر لها مستديم حتى تحولت نبضات القلب اللاارادية الى نبضات ارادية تنطق بذكر الله .

« اعتزازه بنفسه » :

كان البدوى يعتز بنفسـه أيما اعتزاز ، ولا يعول الا عليها فى بلوغ أهدافه وفى سبيل الوصول الى غايته . ويؤثر عنه أنه عرضت عليه

مفاتيح الشام والعراق من سيدى أحمد الرفاعى ، ومن سيدى عبدالقادر الجيلانى عرضا روحيا فأبى ذلك وقال كلمته المشهورة « أنا منكما وأنا لا آخذ المفتاح الا من يد الفتاح » .

قال هـــذا اعتزازا بنفسه وتجنبا لأن يكون تابعا لغـيره بأى نوع من أنواع التبعيــة ولو كان فى تلك التبعية تســلم الزعامة الدينية فى تلك الأصقاع .

بين السيد وابن دقيق العيد

كثر الحديث عن البدوى وعن حاله الذى يتزايد يوما بعد يوم حتى بلغ الحديث مسامع شيخ الاسلام الكبير تقى الدين بن دقيق حامل لواء العلم فى عصره فاستنهضه هذا الحديث للقيام بزيارته بطنطا .

ولكنه تريث فى الأمر فأحب أن يستطلع حقيقة أمره قبل أن يسافر هو بنفسه فأرسل الى الشيخ عبد العزيز الدرينى يقول له : توجه الى السيد احمد البدوى واسأله عن العلم ، ثم اكتب لى تقريرا عن جميع مشاهداتك التى تشهدها منه .

فتوجه الشيخ عبد العزيز الى طنطا واخذ معه كتابا يسمى كتاب الشجرة ليمتحنه فيه ، وهو يشتمل على فن الحديث والفقه وبعض الفنون ، وقابل فى طنطا أول من قابل قاضيها الشرعى ، وكان يدعى علاء الدين واخبره بأن شيخ الاسلام أرسله ليستطلع حالة السيد البدوى العلمية ، وأنه أحضر معه كتاب الشجرة ليمتحنه فيه ، فان هو فهم ما فيه فأنا ارد الجواب عنه الى قاضى القضاة .

فقال له هو فى بيت الشيخ ركين ، فلما وصل الى البيت ، استأذن الشيخ عبد المتعال فأذن له ثم سلم على البدوى ، فرد عليه السلام ، وقال له : «ياعبد العزيز من وصل الى مقام التسليم ، فاز برياض النعيم جئت تسأل عن العلم ، وفى كمك كتاب الشجرة» فتعجب الشيخ عبدالعزيز من بصيرته . ثم قال له البدوى «سلنى عما شئت فانى اجيبك» فسأله عن المسائل التى جاء ليسأله فيها فأجاب عنها بأحسن جواب . فما وسع الدرينى الا أن يعتذر له بأنه مكلف من شيخ الاسلام . وكان الدرينى اذا سئل عنه يقول هو بحر لا يدرك له قرار ، ولما هم بالانصراف قال له : قل لقاضى القضاة يصحح مصحفه المعلق فى صدر حجرته فان

فيه خطاين أحدهما فى سورة الرحمن والخطأ الثانى فى سورة يس .
ولم يسع الشيخ الدرينى الا أن يكتب تقريرا بما رآه وعلمه . ولما عاد الى القاهرة ورفع تقريره الى شيخ الاسلام كشف عن الخطاين فوجدهما كما أخبره ، فازداد يقينهما فى صدق ولايته . فأجمع شيخ الاسلام أمره على الذهاب بنفسه الى طنطا لزيارته . ولما صعد الى سطح البيت ، وجد حوله جما غفيرا من الناس ثم رآه مشغولا عنه ، فحز ذلك فى نفسه، فقال ماهذا الاعتقاد فى هذا الرجل ؟ ثم قال فى نفسه «ماهو الا مجنون» فلما جلس فاجاه البدوى ببيته المشهور :

مجانين الا أن سر جنونهم .. عزيز على أعتابهم يسجد العقل

يقول له فى رده الرائع رأيت المظهر فقلت مجانين ، ولو علمت المخبر لعرفت أن على أعتابنا تسجد العقول . فأخذ العجب من شيخ الاسلام مأخذه ، فلم يسعه الا أن يقبل يده ويقر له بالعلم والفضل .. ثم تحادث معه فى بعض المسائل العلمية وانصرف .

(البدوى يقول .. أنا زيت من لازيت له)

يوضح السيد البدوى أن الفقراء كالزيتون ، وفيهم الصغير والكبير ومن لم يكن له زيت فانا زيته ، اساعده فى جميع أموره ، وقضاء حوائجه لا بحولى ولا بقوتى ولكن ببركة النبى صلى الله عليه وسلم .

فهو يقرر أن الفقراء كالزيتون متفاوتون فمنهم الكبير ومنهم الصغير فالكبير هو الذى امتلأ قلبه نورا من أنوار الحق نتيجة لذكر الله وشبهه بالزيتون الكبير ، لأن الكبير من الزيتون غنى بالمادة التى تحصل بها الانارة وهى الزيت فالكبير من الفقراء كالكبير من الزيتون ، أما الصنف الصغير من الفقراء فهو الذى حافظ على قواعد الشرع ولكنه لم يكمل فى قلبه النور ومن كان من الأولياء بهذه الصفة فهو فى حاجة الى من يعاضده ويسانده حتى يصل الى درجة الكمال والاتصال بالله تعالى ورسوله . ويقول من لم يكن له زيت فانا زيته ارشده الى طريق الحق وأهديه السبيل وأكون عونا له فى الوصول الى غايته .

ويقرر أن مبادئه مبادىء اجتماعية مستمدة من أصول الشرع ومبادىء الدين الحنيف ، فهو لا يترك الفقير الصغير الشبيه بالزيتون الصغير يجف ويموت ويطرح فى العراء بل يوقف حياته ويهب نفسه لتنمية الفقير الصغير حتى يكبر وتغذية الضعيف حتى يقوى وتعهده بالاصلاح حتى يتكامل ويكون كبيرا ويمكن أن نخرج من هذه الوصية بثلاث حقائق :

١ ـ أن السيد احمد البدوى على صلةتامة برسول الله لان مساعدته للفقراء الصغار يستمدها من حضرته وليست بحوله ولا بقوته .

٢ ـ انه استغل هذه الصلة واستعملها فى خدمة الأولياء الصغار وتكميلهم وارشادهم الى مافيه صلاحهم . ولهذا اشتهر بأنه سلطان الأوليـاء .

٣ ـ ويدل ذلك دلالة واضحة على علو همته وكبير فتحه وجريان اسباب الخير على يديه . ولهذا اشتهر بانه مربى السالكين . ولهذا ايضا أجمعت الأولياء على احترامه وتعظيمه ومحبته على اختلاف مشاربهم وتنوع طرقهم .

البدوى يوضح العوائق التى تعوق الفقراء

عن أن يكونوا كبـارا

بين البدوى فى وصيته لخليفته الحوائل النفسية التى كانتسببا فى تخلف الأولياء الصغار عن ان يكونوا كبارا فحصر تلك الحوائل فى الآتى :

١ ـ التعلق بالدنيا .

٢ ـ عدم مراعاة الاحسان فى العمل .

٣ ـ شح النفس بالعطاء .

٤ ـ عدم استدامة ذكر الله .

٥ ـ الغفلة عن قيام الليل .

٦ ـ سوء الخلق فى المعاملة .

٧ ـ عدم الصبر على تحمل اذى الناس .

٨ ـ عدم ملازمة الصدق .

٩ ـ خلو القلب من الصفاء وحسن الوفاء وحفظ العهود فقال فى وصيته بعد ما تقدم ـ يا عبد العال اياك وحب الدنيا فانه يفسد العمل الصالح .

واعلم يا عبد العال ان الله يقول « ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون » .

ثم اخذ يبين الحائل الثالث وهو شح النفس بالعطاء فقال : يا عبد العال اشفق على اليتيم واكس العريان واطعم الجوعان واكرم الغريب

والضيفان ؛ عسى أن تكون عنـــد الله من المقبولين ، ثم اخذ يبين الحائل الرابع : وهو عدم كثرة الذكر والغفلة عن قيام الليل فقال «وعليك بكثرة الذكر واياك أن تكون من الغافلين عن الله . واعلم أن كل ركعة بالليـــل خير من الف ركعة بالنهار » .

ثم أخـــذ يبين الحائل الخـــامس وهو سوء الخلق فقال : « أحسنكم أخلاقا . أكثركم ايمانا » ثم ختم وصيته بقوله هذه هى طريقتنا بنيت على الكتاب والسنة والصدق والصفاء وحسن الوفاء . وتحمل الأذى وحفظ العهود .

وقد قال عبد العال « خدمت الشيخ اربعين عاما ما رايته غفل عن طاعة الله طرفة عين » .

تبصرة وذكرى :

لااترك القارىء يمر على هذه الظاهرة التى سمعها عن السيدالبدوى من سماعه للخواطر النفسية واحاديث القلوب بدون أن استرعى نظره الى ان سبب ذلك يرجع الى ما هو معروف عن الحديث الصحيح عن الله عز وجـــل وهو قـــوله :

« ولا يزال عبـــدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه . فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به . وبصره الذى يبصر به . ويده التى يبطش بها . ورجله التى يمشى بها » .

وفى رواية كنت هو — فمن كان الله سمعه على اى معنى ذكــــره العلماء العارفون فانه ولا ريب يسمع كل شىء يسمع السر . وما هو أخفى من السر . ويسمع الخواطر النفسية وماهو أخفى من الخواطر النفسية ومن كان الله بصره الذى يبصر به فانه ولا ريب يبصر كل شىء ســـواء ما كان فوق العرش أو تحت العرش فى الصدور أو خارج الصدور ومن كان الله يده التى يبطش بها أو رجله التى يمشى بها فان يده لا تقف عند حدها المحدود لها . فقد يظهر آثارها بالضرب أو بالبطش . أو بالعطـــاء والنوال أو بالتسليم بهـــا أو الاشـــارة بأصبعها من مســـافة قريبة أو بعيـــدة .

فسماع السيد البدوى للحديث النفسى لا يبعد بعيدا مادام الله تجلى عليه بصفة السمع . وخروج يده من القبر ليسلم على الشـــناوى أو الشعرانى لايبدو غريبا مادام يمدها بربه وكذلك القول فى قطعه للمسافة البعيدة فى خطوة أو غير ذلك من الكرامات وخوارق العادات .

علامة الولى كما يراها البـــدوى

لا تتحقق ولايتك لله تعالى الا اذا تحققت فيك العـــلامات التى ذكر البدوى لخليفته الأول عبد العال حينما ساله عما هو الفقير الشرعى يريد الولى الشرعى . فاجابه بان الولى الشرعى له اثنتا عشرة علامة :

العلامة الأولى ـ أن يكون عارفا بالله .

العلامة الثانية ـ ان يكون مراعيا لأوامر الله .

العلامة الثالثة ـ ان يكون متمسكا بسنة النبى .

العلامة الرابعة ـ ان يكون دائم الطهارة .

العلامة الخامسة ـ ان يكون راضيا عن الله .

العلامة السادسة ـ ان يكون موقنا بما وعده به الله .

العلامة السابعة ـ ان ييأس مما فى أيدى الناس .

العلامة الثامنة ـ ان يتحمل اذى الناس .

العلامة التاسعة ـ ان يكون مبادرا لأوامر الله .

العلامة العاشرة ـ ان يكون شفوقا على خلق الله .

العلامة الحادية عشرة ـ ان يكون متواضعا للناس .

العلامة الثانية عشرة ـ ان يكون عالما بان الشيطان عدو له كما اخبره الله بقوله « ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا » .

أخلاق البدوى من أخلاق أولى العزم

لا يرشـــدك الى أخلاق الرجل ان لم تكن سبرت أخلاقه فى معاملة مثل ما يرشدك كلامه . فمن كلامه تعرف منزلته الاخلاقية من كرم نفس أو جفوة فى الطبـــاع لأن الكلام معبر عما إرتـــكز فى النفس ووقر في القـــلوب .

يقول السيد البدوى فى بعض وصاياه التى تعبر عن اخـــلاقه : « يا عبد العال لا تشمت بمصيبة أحد من خلق الله . ولا تنطق بغيبـــة أو نميمـــة . ولا تؤذ من يؤذيك . واعف عمن ظلمك . وأحسن الى من أساء اليك . وأعط من حرمك » .

هذه كلمات معدودات هى من أهم الاخلاق الفـــاضلة . واسمى الفضائل النفسية التى لايمكن أن يتخلق بها الا أولو العزم فقـــد كان رسول الله يعامل أعداءه بهذه الأخلاق الفاضلة فلم يؤذ من آذاه منهم . بل عفا عمن ظلمه وأحسن الى من أساء اليه . وأعطى من حرمه . ولم يظهر شماتته بأحد منهم . ولم يزد يوم الفتح بعد أن تمكن من رقابهم عن قوله ماتظنون أنى فاعل بكم . قالوا خيرا : أخ كريم وابن أخ كريم . فقـال اذهبوا فأنتم الطلقاء .

لماذا لم يتزوج السيد البدوى ؟

وننتقل بك الى ناحية خاصة فى سيرة السيد وهى عدم تزوجه مع انه اقرب على الثمانين عاما . وقد كان وافر القوة متين الجسم ومن المعروف أن ابتعاد الرجل عن المرأة ليس بالأمر السهل الذى يمكنه ان يتحقق بمجرد الرغبة . بل انه أمر يحتاج الى مجاهدة الطبيعة البشرية.

والذى يبدو لنا فى ذلك أن السيد أخذ نفسه بنظام من الزهد الرهبانى اعتنقه بعض الصوفية فى الصدر الأول . ثم شاع بين طوائفهم المختلفة وانصرف الشيوخ عن تربية الأولاد الى تربية المريدين . وكانوا يقولون : ان المريد يصبح جزءا من الشيخ كما ان الولد جزء من ابيه . هذه ولادة طبيعية وتلك ولادة معنوية .

اذن لقد أخذ السيد نفسه بهذا المذهب الرهبانى الذى ينافى طبيعة الاسلام .

ويقول الذين تحدثوا عن حياة السيد ان شقيقه حسن قد طلب اليه ان يتزوج ولكنه ابى واتخذ من مريده عبد العال ولدا . وهى الولادة المعنوية التى يقصدونها .

ويظهر أن طبيعة الحياة التى كان يحياها السيد هى التى لم تساعده على اتخاذ الزوجة . لأنه عاش متنقلا فى الأقطار ثم جاء الى مصر يزجى دعوة لا يعلم ما وراءها .

ومما يقوى هذا أن خلفاء السيد وأتباعه لم يأخذوا عنه هذا المذهب فقد تزوجوا وأنجبوا .

وقد كان انصرافه الى العبادة على النحو الذى سلف أكبر صارف له عن الزواج . فان من كان ليله قائما ونهاره صائما . فقد أحيا فى

نفسه عوامل الروح ودوافعها واماتت فيهـــا دوافع البشرية ونوازعها ، وتموت معها رغباته الطبيعية ويتجه بطبيعة الحال الى ما تقتضيه دوافع الروح وهو طلب معرفة الله ، وينصرف عما تقتضيه دوافع البشرية وهو طلب النساء لانعدام تلك الدوافع فيه .

وقد يكون من عوامل اعراضه عن الزواج ما رواه المؤرخون من أن أخاه الحسن تزوج ســنة ٦١٧ وأن أخاه محمدا تزوج سنة ٦٢٦ ولكون السيد أحمد يليهما فى السن كان زواجه تاليا لزواج اخيه محمد الا أن الذى تلى زواج محمد هو وفاة والدهم سنة ٦٢٧ ثم وفاة محمد سنة ٦٣١ ، وبذلك تفككت الأسرة وكان لتفككها فى نفس البدوى أثره المعروف فعززت هذه العوامل عزوفه عن الزواج لما عرضه عليه أخوه الحسن .

السيد وفاطمة بنت برى

ولمناسبة الحديث عن حياة العزوبة التى اخذ السيد بها نفسه نعرض هنا لقصة اشتهرت عنه . ونعنى بها تلك القصة التى أوردها الاتبـــاع والمريدون عن اجتماع السيد بفاطمة بنت برى وهو فى رحلته بالعراق ويقولون « كانت فاطمة بنت برى سيدة غنية بالمال رائعة الجمال وعليها مسحة من الجلال . لاتقع عليها العين حتى تقع هى فى القلب . ولهـــا أيضـــا راس مال من العمل الصالح أكسبها بعض منازل أهـــل القرب من أرباب الأحوال ويذكرون من حالها ان لها فرسا كانت تركبها بغير لجام وأينما أرادت أن تسير هى سارت فرسها تبعا لها . وقد أحبها النـــاس ، واشتغلوا بها طلبا لتحصيل رضاها . وقد يكون ايضا طمعـــا فى مالها وجزيل بذلها ، ويظهر انها لم تحسن التصرف فيما كسبته من حال . ومنحته من جمال فاعتمدت فيهما على ثقتها بنفسها . ولم تراع مـــع تلك الثقة قواعد الشرع وصريح الاحكام .

وكانت فاطمة قد جعلت مقياس صدق النية وسلامة القصد عندها هو أن تتعرض بوجهها الفاتن لمن تريد امتحانه فاذا تتابعت منهالنظرات علمت انه ليس من الصادقين واذا لم تتابع منه النظـرات أولته مـكان القرب والتكريم .

وقد يكون ذلك منها اعتمادا على ثقتها بنفسها كما تقدم الا أن الشرع لايمكن ان يعفيها من ذلك مهما حسن القصد وقويت الثقـة بالنفس . ولا سيما قد يترتب على ذلك سلب الرجال أحوالهم وضياع ثمرات أعمالهم من حيث لايشعرون ، ويظهر أنه تكرر منها اجراء هذا الامتحان ، ويظهر ان كل الممتحنين سقطوا من أول نظرة .

لم ترض هذه الطريقة أهل العلم والنظر من سكان العراق ولا سيما الرفاعى والجيلانى حاملا لواء العلم والمعرفة فىهذه الأصقاع. ولم يجدا احدا يملك زمام نفسه ويقدر بقوته الروحية على ازالة هذه الفتنةالدينية الا البدوى . فانتدبه الرفاعى لهذه المهمة فى اثناء زيارته له فى رحلته اذ رآه يأمره بالذهاب الى بنت برى ليؤدبها ويرجعها عن التعرض للرجال وسلبهم أحوالهم . فصدق البدوى هذه الرؤية خير تصديق . وقاسى فى سبيل تحقيقها ما تعجز عنه همم الرجال . فانطلق هو وأخوه من قرية أم عبيدة مقر الرفاعى الأخـــير الى بغداد . وهنـــا فارقه أخوه كما قدمنا وذهب البدوى وحيدا بنفسه قويا بربه فىطلب بنتبرى بناحية العشائر فى شمـــال العراق . ولمـــا نزل بعشيرة بنت برى تظاهر بحيلة غريبة ليحفظ بها نفسه ، وليطمس بها ماقد يتسرب الى علمها من خبر رحلته اليها ، لأنهـــا من أرباب الأحوال فربما ينكشف فى علمها معرفة وجهة نظره قبل أن يصل اليها . وقد نفعته هــذه الحيلة أعظم نفع وأتمه . فتظاهر بأنه أصم لايسمع وأبكم لايتكلم ـ قال البــدوى ـ لمـــا اقبلت على بنت برى جعلت نفسى أخرس أطرش . ووجدتها تقول كل غريب يجىء اليكم هاتوه هنا . وكأنها عرفت قصده قبل أن يصل اليها . فلما أقبل على فتياتها كلمنه فلم يجبهن . ولكزنه فلم يجبهن ، فاخذنه الى بنت برى فلما وقف بين يديها نادته فلم يجبها .. فقالت سبحان الله متعجبة من أن نظرها يخيب وفراستها لاتصيب . فقال لها من حولها ان الناس تتشابه وهذا اخرس واطرش وأبله . فقالت اخاف ان يكون الذى رأيته ، وكانت قد رات أنعاقبة أمرها صائرة للزوال، ممثلة فىصورة رجلبدوى يقدم عليها ويقضى على طريقتها ويسلبها حالها .

ولهذا كانعجبها شديدا حينما نادته فلميجبها وقالتالشخصشخص الذى رأيت فسبحان من ليس له شبيه . ثم أمرت باخلاء سبيله الا أن النقيب اشار عليها بأن يرعى جمالها وكان هذا منه من باب الشـــــفقة والرفق برجل أبله اطرش أخرس لا يعى ما يقول فناداه النقيب وقال لـــه ترعى الجمال . فلم يجبه فقال البدوى فاومات برأسى اى وافقت على ان ارعى الجمال .

فقالت بنت برى يا نقيب بالله شيعه عنى . فان قلبى خائف منه . فذهب البدوى يرعى الجمال . وطلب البدوى من الله ان تمـوت تلك الجمال لأنها سبب من أسباب غرورها .

ولسبب من الأسباب رأت فاطمة أن تذهب الى المرعى . فلما رأت أحمد البدوى قالت لنقيبها ما أخوفنى أن يكون هو الذى رأيته فى المنام .

ثم التفتت لنقيبها وقالت : فقير حال أو محتال ؟.. فقال لها النقيب وما فقير الحال ياسيدتى ؟ فقالت يكون هكذا . وغرفت بيدها غرفة من

الهواء فاذا بقدح مملوء ماء في كفها • وكأنها بذلك أرادت أن تظهر له قوتها الروحية على اعتبار أنه جاء ليسلبها حالها . فسأل الله في نفسه أن يظهر فيها من بطشه ما يردها الى صوابها . فلم تشعر الا وقد نزل بها وهي على فرسها ما اعجزها عن الحراك والسير . وكأنها تصلبت هي وفرسها في الأرض فلا يستطيعان سيرا ولا حراكا . ولما رأت بنت برى أنها أصيبت بهذا التصلب وقد سبق أن مات جميع جمالها ، أدركت أن الأمر جد خطير • وأنه لابد أن يكون الرجل البدوى الذى رأته فى منامها يقدم اليها . ويسلبها حالها . ويقضى على طريقتها هو ذلك الرجل الأخرس • وعندئذ صرخت واستغاثت بأهل الفضل واصحاب النعمة التى منحتها على أيديهم فرآهم سيدى أحمد يقبلون عليها من كل الجهات فأيقن البدوى الهلاك • ولم يسعه الا أن يستغيث بربه ويستعين بأجداده من آل محمد وآل على ، فلحقه من الغوث وجاءه من العون من كل مكان ماهزم به فاطمة وأتباعها فطلبت العفو من البدوى . واخذت تذكر له قول على كرم الله وجهه . عجبت لمن يشترى العبد بماله ولا يشترى الحر باحسانه وعفوه وامتنانه فقبل البدوى العذر بشرط الا تعود للتعرض للرجال من أرباب الأحوال • وأن تعيش برأس مالها من الايمان وقد أظهر السيد البدوى من الكرامات الخارقة ما هزم به أولئك الفرسان والنقباء • حتى أنه أمات الجمال وأحياها وسمر فرسها بالأرض وحاولت فاطمة أن تغريه بجمالها وتلح عليه أن يتزوجها ولكنه أصر على ابائه وانصرف عنها بعد أن أذعنت له • وشهدت بقطبانيته وأخذ عليها العهد ألا تتعرض لأحد بسوء من الرجال والأبطال .

هذا ملخص لتلك القصة التى يحكيها المريدون والأتباع فيما كان بين السيد وفاطمة بنت برى • وقد استهوت هذه القصة العامة فلاقت عندهم قبولا كبيرا حمل أولئك الأتباع على التزيد فيها والتوسع فى روايتها واقحام الأشعار السخيفة عليها .

حتى صارت بضاعة الشحاذين يتغنون بها فى الموالد وفى القرى فى تواقيع منسجمة على نقرات الدف • ولا نزال الى اليوم نرى أولئك الشحاذين يترنمون بتلك القصة على أبواب المنازل بالقرى طلبا للرغيف•

وقد المح الباحث الذى كتب تاريخ السيد البدوى فى دائرة المعارف الاسلامية الى هذه القصة ثم قال : « وأنا أميل الى الاعتقاد بأن النضال الذى ذكرناه بين أحمد البدوى وفاطمة بنت برى – والذى لم يفسر بعد – أعمق من أن يكون مقصورا على ترويض امرأة بدوية جامحة» ولكن هذا الباحث لم يحاول ان يتلمس تفسيرا لتلك القصة الغريبة . ويعتقد «جولد سيهر » ان حياة السيد قد خالطها عناصر مصرية قديمة • وهو بهذا الرأى

يحاول أن يرد تلك القصص التى تشيع فى حياة البدوى الى اســـاطير مصرية قديمة اقحمها الوضاعون على حياة ذلك الصـــوفى لغرض فى نفوسهم والى هـــذا الرأى يميل جميع المستشرقين الذين عرضوا لحياة السيد بالبحث .

ونحن وان كنا نعتقد ان قصة السيد مع فاطمة بنت برى قد دخلها كثير من التحريف والتلفيق . الا أن ملابساتها توحى بأنها ترجع الى أصل صحيح . وأن هذا الاصل يتصل بحياة السيد الصوفية . اذ من المعروف أن السيد لم يتزوج كما قلنا فاذا علمنا أن هذه القصة قد وقعت للسيد وهو فى العراق يدرس ويهيىء نفسه لحياة التصوف وأن الشيخ أحمد الرفاعى هو الذى هتف به فى المنام لمواجهة تلك المراة التى اخذت بألباب الرجال والأبطال من قبله . فهل لنا أن نفسر تلك القصة فى اصـــلها بأنها كانت امتحانا وضع للسيد لمعرفة مدى صبره عن المرأة . وتغلبه على تلك القوة القاهرة وهو لايزال فى مقام الاستعداد لحياة التصوف الكاملة ومن المعروف أن الشيوخ كانوا يتخذون فى تربية المريدين اساليب الامتحان لقدرتهم والاختبار لصبرهم على حياة التجرد والنهـــوض بما يحملـــون من التعـــاليم والدعـــوات .

يمكن أن يكون هذا . ويمكن أن تكون فاطمة بنت برى هذه امرأة كان لها شـــأن مع السيد فى مطلع حياته ثم انتقلت قصتها معه فى روايات الوضاعين الى ذلك الوضع الذى شاعت به بين الناس .

وقد يكون القصـــد من القصة الرمز الى ما كان فى حيـــاة الســيد من مجاهدة الشهوات والاعتصام من المزالق التى انزلق فيها غيره . وانه كان من البطولة بحيث لايؤثر عليه جمال ولا يقهره رجال .

وذكر بعض المؤرخين لفاطمة ابياتا تنوف على خمسين بيتا تتضمن هذه القصة قالتها بعد توبتها وبعد أن عرضت نفسها للزواج من احمـــد البدوى فابى ومن هذه الأبيات قولها :

ياقارىء الخط فاقرأ ماكتبت وكن	ذا فطنة فهما عميقا حاذقا حذرا
وافهم كـــلاما رمزناه ليعرفـــه	اهل الحقيقة ان هم امعنوا النظرا
كتبت للحب فى قلبى محبتـــــه	هذا الذى غاص فى قلبى وماظهرا
يا طالما كنت للفرســـان اقتلهم	فاسلبهم سرا كـــــذا جهـــرا
قضيت دهرى والأيام تخـــدمنى	فى صفو عيش لم انظر له كـــدرا
فتاهت النفس فى الأفعال واعتجبت	وقالت الآن فقت البـــدو والحضرا
رأيت فى النوم أن القوم قد بعثوا	لى الملثم ذا عــــزم له اشـــتهرا
فصـــار قلبى بسر منه صـــيرنى	عصفورة وهو لى كالسبع اذ ذكرا

كتمت سرى وامرى لم أبح بهما   للخلق كلا ولم أظهر له خبرا
عرفت وصفا له فى النوم حليته   ليست بخافية عمن له نظرا
وقلت جاء غريب ليس نعرفه   ملثم بلثام يشبه العذرا
هاتوه لى سرعة أو عاجلا بهتا   وأكرموه ولا تبدوا له ضررا
لما اتانا عرفناه بحليته   حقا يقينا ولكن ذاك قد سترا
ناديته باسمه جهرا وكنيته   فلم يجبنى وما أبدى لنا خبرا
فقال لى القوم والجمهور كلهم   هذا اصم وايضا فاقد البصرا
فقلت انى اخاف اليوم صولته   لا بد يبدى لنا من أمره ضررا
قلنا له سيدى ترعى الجمال لنا   اجابنا بنعم سرا وما جهرا
لما توجه تلقاء الجمال أتت   اليه تكرف منه الند والعطرا
جاء النقيب واخبرنى بقصته   فقلت سيد قوم صار مفتخرا
ومد كفا بمتن الريح قد قبضت   قلبى وروحى وكلى والحجا نفرا
ضاقت بى الأرض والدنيا باجمعها   وها فؤادى من الأحشاء قد ظهرا
لما ركبت وجئناه لننظره   رنا الى ولى قد طول النظرا
اتى شجاعا وانى كنت احذره   فما سلمت وعنه ساعدى قصرا
وطاوعته الاراضى فالتطمت بها   لما رآنى وللأرضين قد أمرا
فصحت يا آل برى من اماكنكم   هيا سريعا فقلبى صار منحصرا
جاءت رجال على خيل مضمرة   كمارعود تسوق الوابل المطرا
لما رآهم تحققهم واهملهم   وللقتال اتى بالعزم وابتدرا
شال اللثامين عن وجه وبينه   كأن عينيه جمرا يقدح الشررا
وقال يا ربنا انصرنى وساعدنى   ياناصر الرسل يامولى قد اقتدرا
يا رب عونا بمولى المؤمنين على   فحل الرجال ومردى كل من كفرا
فجاءت الخيل فى الميدان واعتركت   واظلم الجو والأقطار واعتكرا
فصاح فى الخيل والفرسان جندلها   وابن الرفاعى وعبد القادر اشتهرا
لما رات آل برى صول خيلهم   راموا الفرار وولوا منهم الدبرا
قلنا لهم سادتى انتم ذخيرتنا   بكم نصول على الأعدا لننتصرا
ففارس منكمو فردا يعجزنا   فكيف تقوى جيوش خصمهم قهرا
يا جاهلا عن كلام لست تعرفه   فانما يعرف الأشيا من اشتهرا
ختمت قولى بقبلات لأيدكم   يا سيدى وأمير الناس والفقرا

أتباع السيد ومريدوه

كل ما تم للسيد من صيت ذائع فى الناس . وكل ما صار له من ذكر ملأ الآفاق فى مصر وغير مصر . وكل ما أشـــيع له من الخوارق والـكرامات والمعجزات ثم كل ما رسم له من المراسيم والتقاليد . وكل ما طرأ على دعوته من التحول الى ذلك الاتجاه الذى انتشر بين العامة .

كل هذا وما اليه انما يرجع الفضل فيه الى كل خلفاء السيد وأتباعه ودراويشه .

فهؤلاء الخلفاء والأتبـاع هم الذين انطلقوا فى مناحى البـــلاد يحدثون الناس حديث شيخهم العطاب وصاحب السر « الباتع » ويخترعون له الكرامات الخارقة . والمعجزات الباهرة . والمدهشات التى لم تكن لأحد من قبله فى الأقطاب والمشايخ ولقد أظهر هؤلاء الدعاة براعة فائقة فى جمع الأنصـــار وأبدوا كثيرا من الذكاء فى فهم عقلية الجماهير واجتذاب مشاعرهم .

هذا السلطان الذى أدركه أتباع السيد على نفوس العامة . كان من الطبيعى أن يؤثر فى نفوس الفقهاء والحكام لأنهم كانوا يرون فيه منقصة لسلطانهم وانتقاصا لسيطرتهم وكثيرا ما قامت فى هذا الســـبيل مصادمات ومنازعات ومؤامرات .

ويفسر هذا ما يروى ابن اياس من انهم تآمروا مرتين على قتل خليفة السيد البدوى . ولكن يظهر أن أتباع السيد كانوا أبرع خطة . وأنفـذ دعاية . وأعز جانبا وخاصـــة بعد أن ارتطمت ثقافة الفقهاء بالتلفيقات والخرافات . واضعفت الأحداث السياسية شوكة الحكام . ولهـــذا سرعان ما رأينا هؤلاء الفقهاء والحكام يسيرون الى جانب اتباع السيـد فى مواكبهم .

« السطوحية »

هذه المهارة التي أبداها السيد ودراويشه فى اجتـــذاب العـامة انما هى سر من أسرار السيد فى تلقينهم الدعوة وتوجيههم ذلك الاتجاه. فقد تخرجت الطبقة الأولى منهم على يديه وأخذوا عنه التعاليم مشافهة حيث كانوا يجتمعون به فوق السطح ولذلك سموا بالسطوحية . وكان عددهم اربعين شيخا . وقد ذكرت من قبل ان السيد كان يجتمع بهم فى حذق ومهارة ودهاء فما كان يقابل رجلين منهم معا . بل كان يقابل كل شخص على حدة فاذا ما تبين فيه الاخلاص للدعوة وتبين عنـــده القـــدرة على احتمال أعبائها بين الناس وجه به الى حيث يستطيع أن ينشر لواءها ، وان يجمع حولها الأنصار والمريدين . وهكذا بعث السيد بأولئك السطوحية واحـــدا فى اثر واحد الى أنحاء الديار المصرية من الاسكندرية الى أقصى الصعيد كما بعث منهم الى نواحى الشام والى مكة نفسها . وهكذا استفاض الحديث بسرعة مدهشة عن السيد البدوى فى أرجاء البلاد بفضل أولئك المريدين الدعاة الذين ملأوا بدعـوته الآفاق على ما بدا لهم من الاتجـاهات والنزعات فى اتخاذ البطانة واجتـــذاب العامة واكتساب المثالة بين الناس .

« القوم الفقراء »

وكان أتباع السيد ومريدوه يسمون انفسهم بالفقراء ، وهى تسمية عامة بين الأتباع والمريدين فى سائر الطرق الصوفية · ولكن أتباع السيد جعلوا مراتب التسمية ثلاثا ، فكانوا يسمون انفسهم بالفقراء ويسمون سائر الصوفية بالقوم ويسمون عامة الناس بالخلق ، فكأنهم كانوا يرون الفقر أعلى المراتب ، وهم يعنون بذلك الفقر الى الله وان كانوا يتخـذون لذلك مظهر الفقر الدنيوى فكانوا يلبسون المرقعات ويؤثرون التقشف والحياة الخشنة القليلة المطالب · ومن الاعتقادات السائدة عند الصوفية ان الفقر حيلة وقربى يقتـدون فيها بالنبى صلوات الله عليه وسـلامه وقد سيطرت هذه العقيدة على اذهان العامة الى حد بعيـد ، ولا تزال الى اليوم يتردد صداها فى النفوس ، وتؤثر على عقليـــة الجماهير . والواقع ان هذه العقيدة قد اضرت بالحياة الاجتماعية فى مصر بل فى العالم الاسلامى جميعه ضررا كبيرا لأنها جعلت العامة والطبقات المكدودة تطمئن لفقرها واحتياجها تحت تأثير تلك الدعوة المخـدرة التى اقنعت هؤلاء البائسين بان الفقر حياة الأنبياء والصالحين وأنهم سيجزون على هذه الحياة فى الآخرة بالثواب الجزيل والأجر العظيم ومن ثم لم يطمعوا فى تغيير هذه الحياة وتبديلها بما هو أطيب وأحسن مؤثرين على ذلك حيـــاة السعادة فى الجنة · وهكذا سطت هذه الفـــكرة على حياة الجد

والكفاح والنشاط بين الناس ولا شك أن ذلك يخالف ما دعت اليـــه الشريعة الغراء من الدعوة الى العمل « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » وما جاء على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم من الدعوة الى كسب القوت بالعمـل والـكد فى قوله : « لأن يحتطب احدكم فياكل من عمل يده خير من ان يسال هذا فيعطيه او يسال هذا فيمنعه » . وهكذا .

من هم السطوحية ؟

ولقد كان الطليعة لأتباع السيد فى حمل لواء الدعوة وجمع الأنصار هم أولئك القوم الذين اتصلوا بالسيد فى أول امره وتلقوا عنه الدعوة فوق سطح دار ابن شميط • ولقد حفظت لنا كتب المناقب ثبتا طويلا بأسماء هؤلاء السطوحيين وأسماء الجهات التى تفرقوا اليها يحملون دعوة شيخهم وهم :

الشيخ عبد العال الفيشاوى ، وشقيقه عبد المجيد الذى لازم السيد فى أول أمره وصعق لما كشف السيد له لثامه ثم الشيخ عبد الوهاب الجوهرى وقد وجهه السيد الى ناحية الجوهرية ليقوم بالدعوة ومات بها • والشيخ قمر الدولة بناحية نفيا والشيخ وهيب بناحية برشوم الكبرى . والشيخ يوسف والد الشيخ اسماعيل الامبابى المدفون بامبابة وصاحب المولد بها • ويقولون : ان الشيخ يوسف هذا كان قد خرج على قصد الطريق واصطدم بالشيخ عبد العال الخليفة الأول للسيد من اجل ذلك ، فسحب منه عبد العال الولاية ومنح سرها لولده اسماعيل فأصبح صاحب السر والجاه ثم الشيخ أحمد المعلوف بنواحى القليوبية ويسمى اتباعه بالمعاليف • والشيخ على البريدى وقد دفن تجاه السيد فى طنطا • والشيخ عبد العظيم الراعى • والشيخ رمضان الأشعث المدفون بناحية منف • والشيخ محمد الفران الذى كان يشتغل بصناعة الخبز والشيخ عمر الشناوى بناحية شنوى وهو الشيخ الأول للطريقة الشناوية الأحمدية . والشيخ خلف المدفون بقنطرة سنقر بمصر . والشيخ محمد الكناس الذى كان يقوم بكنس ضريح البدوى . والشيخ يوسف البرلسى المدفون بالبرلس . والشيخ جمال البرلسى من البرلس كذلك الشيخ أبو جنينة المدفون ببركة القرع بمصر •

والشيخ على البعلبكى المدفون بناحية بعلبك . والشيخ مبارك المنوفى نسبة الى منف (١) التى كان يقيم بها والشيخ محمد الخرقانى بناحية قليوب . والشيخ محمد الشيشينى ثم الشيخ سعدون وكان يقيم فى خرابة بناحية بلبيس الى ان مات بها . والشيخ خليل الشامى الذى وجهه السيد الى الشام ومات هناك . والشيخ على الزنكلونى والشيخ خلف الحبيشى المدفون بميت حبيش بالقرب من نفيا ، والشيخ على الكيروانى الذى قصد الى اليمن وأقام بها والشيخ محمد الصناديدى من صناديد ، والشيخ عصام الدين المدفون بالقرب من بركة الناصرية بمصر . والشيخ سعد التكرورى المدفون بحوران . والشيخ محمد الزعفرانى المدفون بناحية طرا . والشيخ نعمة المدفون بناحية صفد . والشيخ عبد الله اليونانى المدفون ببعلبك والشيخ عز الدين الموصلى وقد اتصل بالسيد وهو فى العراق وصحبه ومات بالموصل ودفن بها والشيخ أحمد بن علوان اليمنى بناحية تعز باليمن والشيخ عوسج المصرى المدفون بزبيد من أرض اليمن . والشيخ أحمد بطالة بناحية فيشا المنارة . والشيخ شعيب المدفون بالقرب من باب البحر بالقاهرة . والشيخ أحمد أبوطرطور بناحية أوسيم بالجيزة . والشيخ احمد الأباريقى المدفون بروضة المقياس . والشيخ بشير المدفون بباب المعلاة بمكة . والشيخ بشير أيضا المدفون بدرب السدى بالقاهرة .

هؤلاء هم الذين تضمن الثبت الوارد أسماءهم من اتباع السيد المعروفين بالسطوحية أما أتباعه من غير السطوحية فكثيرون جدا وهم طبقات متتابعة وقد تضمن ذلك الثبت منهم الشيخ عماد الدين المدفون بالقرب من بركة الناصرية بالقاهرة . والشيخ الفرغل بن أحمد صاحب المولد المشهور والشيخ البقلى والشيخ ابراهيم المتولى والشيخ نور الدين الشونى . والشيخ محمد المنير . وكلهم بناحية أبى تيج . والشيخ الصامت والشيخ على المجذوب بأسيوط والشيخ على رعية . والشيخ شعيب الوراق بالمحلة الكبرى . والشيخ على العريان . والشيخ على المجذوب بنواحى بولاق . والشيخ عنتر المدفون بالقرب من باب زويلة والشيخ على الجيزى بباب القرافة والشيخ على أبى الظهور فى الطريق الى الامام الليثى . والشيخ على باب الله بجوار شهاب الدين الرملى والشيخ محمد النجار بناحية باسوس على شاطىء النيل . والشيخ غوش بن عدى بالصعيد . وغيرهم ممن تفرقوا فى مصر والشام وسائر الأقطار العربية المجاورة . ولهم أضرحة ومقامات تزار وتمجد وتقام لهم الموالد والمواكب فى كل عام .

---

(١) ليست هذه النسبة قياسية .

هذا ملخص لذلك الثبت الذى أوردته كتب المناقب عن أتباع السيد ومريديه من السطوحية وغير السطوحية .

وهذا يكشف لنا عن العوامل التي ساعدت على ذيوع هذه الدعوة فى كل مكان وجعلت لها ما جعلت من النفوذ والسلطان فأنت ترى أن السيد لم يفتر فى توجيه أتباعه الى داخل البلاد . بل انه أرسل بعضهم الى نواحى الشام واليمن وسائر الأقطار العربية • ومعنى هذا أن الرجل كان يطمح فى تعميم دعوته واعلانها فى كل هذه النواحى حتى يملأ بها نفوس المسلمين عامة • ثم أنت ترى أن هؤلاء الدعاة قد توزعوا فى البلاد يدعون بدعوة شيخهم ويجمعون من حولهم الأنصار والأتباع • وبهذا امتد نفوذ السيد وذاع صيته حتى ملأ أرجاء العالم العربى فكان الناس يشدون الرحال من أقاصى البلاد لحضور مواكبه ومشاهده •

لماذا اخلص ركين فى خدمة البدوى ؟

ان ركينا ككل الناس وككل تاجر لا يمكن أن يخلص كل هذا الاخلاص ولا يمكن أن يتسع رحابه للفقراء كل هذا الاتساع • ولا يمكن أن يتفانى اثنى عشر عاما فى خدمة رجل بدوى لايعرفه الا اذا كان عنده سند قوى ودليل واضح يحمله على تقديم هذه الخدمات وبذل هذه التضحيات •وكان هذا السند القوى وذلك الدليل الواضح هو تلك الكرامات التى ذكرها المؤرخون والتى خلص بها قلب ركين من الشك والقلق وعادت على تجارته بالربح الوافر •

فقد ورد ان بعض الحكام أراد الاستيلاء على تجارة ركين فى الشعير لعلف الخيل والدواب ـ وكان ركين يتجر فى العسل والزيت والعلف • ولم يكن يومئذ لدى التجار هذا النوع من العلف نظرا للغلاء الذى تقدم ذكره • فخاف ركين على تجارته واشتكى الى سيدى أحمد أمره • فقال له لاتخف يا ركين . واذا سألوك عن الشعير فقل لهم الذى عندى ذريعته أى تقاوى من الشعير النقى الذى يصلح للزرع وليس علفا للدواب • فاذا قلت لهم ذلك صرفهم الله عنك • فلما طالبوه بالشعير • قال لهم الذى عندى ذريعة فنظروه فوجدوه شعيرا نقيا يصلح للزرع ولا يصلح للعلف • فانصرفوا عنه ولم تزل السعادة تلازم ركينا حتى لقى أجله فانتقل سيدى أحمد من داره الى دار ابن شميط شيخ البلد واختتم فيها حياته ودفن فيها على عادة الصالحين فى زمانه بعد أن مكث فيها ستا وعشرين سنة ربى فيها رجالا وأبطالا •

كيف تعرف على سيدى عبد العال وهو طفل ؟

لم يكن تعلق عبد العال الطفل بسيدى أحمد وهو في بلده فيشا اعتباطا وبدون مقتض • بل لا بد أن يكون هذا الطفل شاهد بعينه ما حمله على ان يخلع نفسه من أحضان أمه ويلزم خدمة هذا البدوى الغريب • وذكروا فى أسباب تعلقه به أن سيدى عبد العال كان يلعب مع الأطفال . ولما راى سيدى أحمد وراى بيده سعفة من سعف النخيل بادر بطلبها منه على عادة الأطفال فطلب منه فى نظير هذه السعفة بيضة يضعها على عينه الرمداء يستشفى بها ولم يتنزل سيدى أحمد بعمل معاقدة بيع وشراء مع هذا الطفل الا لأنه يعرف أن هذا الطفل هو ضالته المنشودة وأمنيته التى وعد بتعهدها وتربيتها • بل ربما كانت مفادرته طنطا وترك عادته فى العبادة وملازمة السطوح لهذا الغرض النبيل فرضى الطفل بهذه الصفقة الرابحة فذهب الى والدته السيدة زينب وذكر لها قصته فردت عليه بما اعتادته النساء من انكار كل ما هو موجود اذا طلب منهن • فلم يراجعها طفلها بل صدقها فيما قالته • وذهب الى البدوى واخبره بما قالته فاراد سيدى احمد أن يعرفه بنفسه ويغرس فى قلبه محبته بما يظهره له من صدق ويقين • فقال له اذهب أنت بنفسك الى الصومعة تجد فيها بيضا • فأتنى بواحدة منها • فتعجب الطفل من أن أمه التى فى البيت تنفى وجود البيض والرجل البعيد عن البيت الغريب عنه يعلم أن فيه صومعة وأن فيها بيضا •

فذهب ليتأكد صدقه فوجد الأمر كما أخبره فاخذ له بيضة وأعطاه اياها •

ومن هذا الدرس العملى تعلق سيدى عبد العال بسيدى أحمد ولازمه ولم تقدر أمه على أن تحول بينه وبينه •

ولمرارة فراق ابنها لها كانت تذكر ولدها فى غيبته عنده • وتقول يا بدوى الشؤم علينا . فكان اذا بلغه قولها وهو بطنطا يقول لو قالت يا بدوى الخير علينا لكانت أصدق . ويظهر ان السيدة زينب اظهرت قلقا كثيرا على فراق ولدها • وفهمت أن البدوى قد اغتصبه منها اغواء واغراء • فأرسل اليها وهو بطنطا يطمئنها على ولدها • وقال فى رسالته هو ولدى من يوم قرن الثور التى حدثت لابنها وهو فى المهد اذ وضعته بالقرب من معلف الدواب وعلى حافة المعلف كما هى العادة . فطأطأ الثور برأسه ليأكل من العلف فتعلق قماط سيدى عبد العال بقرن الثور بسبب التحركات والاهتزازات التى تحصل من الدواب عادة عند بحثها فى معلفها عما تتخيره من علفها • فرفع الثور رأسه فارتفع هو فوق رأسه فثار الثور من هذه الحالة التى فاجأته فنفر به فى الفضاء وهو مشدود بقرنه وفوق رأسه • وأعجزهم تخليصه من رأس هذا الثور

الثائر . ولم ينج من هذا الحادث الا بأعجوبة . وذكر لها البدوى أنه كان مصدر هذه الأعجوبة . ذكر لها احمد هذه الحادثة وهى تعلم أنه لم يشهدها ليبعث فى قلبها الطمأنينة على ولدها وأنه فى رعاية صادقة وعناية ربانية تحوطه الى الأبد . وقد كان فلم يكن البدوى شؤما عليهم بل كان البدوى خيرا على ولدها وعلى سائر اسرته وذريته أجمعين .

صلة السيد بمكة :

وهنا قد يسأل القارىء .. ما الذى انتهى اليه أمر السيد فى صلته بمكة حيث يوجد قومه وعشيرته ؟.. ويبدو لنا فى الجواب عن هذا السؤال ان السيد كان يوافى مكة بأخباره ويتلقى أخبار القوم هناك بوساطة الحجاج المصريين الذين يسافرون للحج ولأداء الزيارة كل عام . وتشير الروايات الواردة الى أن شقيقه الحسن كان يتلقى هؤلاء الحجاج ليقف على ما عندهم وليستخبرهم مايعرفون من شأن السيد .

وهناك رواية تقول : ان الحسن قد حضر الى مصر على رأس وفد من العلويين لزيارة شقيقه السيد فى أيام السلطان الظاهر بيبرس. فتلقاهم السلطان بالاكرام وبالغ فى الحفاوة بهم . وبعد أن قاموا بزيارة السيد فى طنطا عادوا الى القاهرة فاستأذنوا السلطان فى السفر. فاذن لهم بعد أن منحهم الهبات الجزيلة والعطايا الكبيرة . ولما عادوا الى مكة عقدوا محفلا عظيما من بنى قومهم ابتهاجا بما علموا من أمر السيد . وما أدرك من النفوذ فى الديار المصرية .

أثر الرؤيا فى مقاصــد البــدوى

فمن ذلك ما تحدثوا به كثيرا من أن السيد كان فى جميع تصرفاته وتنقلاته خاضعا لما يوافيه به الهاتف فى المنام • فهم يزعمــون أنه لم يرحل من مكة الى العراق ولم يعد من العراق الى مكة • ثم لم ينتقــل أخيرا الى مصر • ولم يؤثر طنطا بالاقامة الا استجابة لصوت الهاتف فى المنام يأمره بالسفر والانتقال • فكان لا يسعه الا أن يعد ركبه • ويشد رحله • بل انهم يزعمون أنه كان يخاطب الأولياء السابقين والصوفية المتقدمين • ويتصل بأهل مكة • ويهوى النبى صلوات الله عليــــه • ويصعد الى السماء ويشاهد ما يقدر وراء الغيب للخلائق ويطلع على مشاهدة الجنة والنار وكل هذا عن طريق الرؤيا فى المنـــام • ومثل هذا الهاتف المنـــامى لا يمكن للباحث أن يصفه تحت حكم قاطع جازم بالصدق أو الكذب • فان علم النفس لا ينـكره بل انه يبرره ما دام العقل مشغولا به متلهفا عليــــه . وما يفكر الانسان فيه يقظة يحلم به مناما • وزيادة على ذلك فان وقائع الرؤيا لا تخضع لضــوابط العقل وتقديراته فقــد يرى الرائى أنه صعد الى السماء أوســـاخ فى باطن الأرض • أو أنه شاهد نفسه فى قصر شاهق بنيانه من ذهب على حين يكون نائما فى غرفة لا تتجاوز مترين • تخفق فيها الأرواح وتضر بهـــا الرياح • وأنت تستطيع أن تكذبه لأن هذا لا يصـــدقه العقل فرجع الصدق والكذب فى هذا الى الشخص نفسه • وقد يكون الســـيد رأى هذه الرؤى ، أو رأى بعضها ، أو لم ير شيئا منها قط • وقد يكون هذا من تلفيقات الدراويش والأتباع .

ولــكن الذى يعنينا توضيحه هنا هو أن الســيد لم يكن الصوفى الوحيد الذى اصطبغت حياته بهــذه الصبغة • وانما هى صبغة عامة

يشارك فيها غيره من المتصوفة وان كانت حظوظهم فى هـــذا تتفاوت بتفاوت مراميهم وأقدارهم • ولقد لعبت الرؤيا دورا كبيرا فى حيـــاة الصوفيـــة وفى تفكيرهم ، حتى كأنها كانت قوام حـــركاتهم ومصدر سكناتهم • ولهم فى ذلك فلسـفة تدور على طبيعـــة النفس البشرية من اللطافة والكثافة وما يمكن أن يتم لها بالمجاهدة والصفاء والتجرد من المدارك الحسية الأولية والاتجاه نحو الصفاء الروحانى والتحليق فى فضاء المشاهدات الباطنية ، وفى هـــذا المجال تجد النفس مقاما من الادراك يقوم فوق مدارك البشر • ويقول ابن خلدون : « وهذا المقـــام يتوافر للأنبياء ويتهيأ للأوليـــاء • وعلى هذا اعتبر الباحثون الرؤيا الصادقة ضربا من الوحى » •

وما اريد أن أفيض معك فى شرح هذه الناحية • فان الـــكلام فى ذلك يطول بحيث لا يحتمله المقام •

وانما اردت أن أوضح لك ظاهرة فى حياة الســـيد لعلها تسترعى نظرك وتستوقف فكرك • وحتى لا تنظـــر الى ما يرويه رواة المناقب عن رؤى السيد على انه شيء عجيب غريب •

ولقد كان العلويون يعتمدون على الرؤى المنامية على أنها ضرب من ضروب التكهن والاعـــلام بالغيب • وهكذا صار يعتبرها المتصـــوفة ويتوسعون فى استغلالها الى مدى بعيد • وقد كان لهـــذا الاتجاه أثر كبير فى عقلية العامة • حتى اننا لنرى كثيرا من النـــاس فى الريف المصرى لا يقدمون على عمل الا بعد أن ينتظروا فيه أمر الرؤيا من رجل مشهور بالصلاح •

البشت الصوف والعلم الأحمر :(١)

وشيئان آخران اتخذهما السيد من شعائره كما اتخذ اللثامين :

أولهما : البشت الصوف •

ثانيهما : العلم الأحمر •

أما البشت فهو خرقة التصوف على حد تعبيرهم • وفى رأيهم أن هذه الخرقة هى زى الفقراء ويزعمون أن النبى صلوات الله عليه قـــد

---

(١) ان المؤلف ينقل ما تناقله العامة فى هذا مع انه لم يصح فيه دليـــل ولا ثبت فيـــه رواية •

لبسها من الجنة ثم ألبسها الخلفاء من بعـــده • ثم انتقلت الى أنس بن مالك ثم الى الحسن البصرى • ثم تنقلت بين مشايخ الصوفية من شيخ الى شيخ •• حتى البسها الشيخ عبد الجليل ابن الشيخ عبد الرحمن النيسابورى للسيد احمد البدوى بوساطة شقيقه الأكبر الشيخ حسن وقد ورث الشيخ عبـد العال أول خليفة للسيد هذه الخرقة أو هـذا البشت ، ويقى من ذلك العهد شعارا لخلفاء السيد يلبسونه فى الموالد والمواكب •

هـذا ما تحدث به الدراويش والأتباع فى تاريخ تلك الخرقة وهـذا ما اثبتوه لها من النسب المتسلسل حتى مدوا ذيلها الى الجنة • والذى نســتطيع أن نعقله من كل ما زعموه وأوردوه عن السر فى ارتداء هـذا البشت أن مشايخ الصوفية قـــد اتخذوه شعارا للزهد والفقر ومظهرا يتقربون به الى الفقراء • واذن فهؤلاء الصوفية قد سبقوا ما شاع فى هذا العصر وحسبناه بدعة جديدة ، وتفكيرا طريفا لتلك الجماعات التى اتخذت القمصان الملونة شعارا لها • على أن تكون فى لونها وفى شكلها مظهرا للباس السائد بين الطبقات العاملة المكدودة ، والأوساط الفقيرة كالقمصان الزرقاء والخضراء والسوداء والحمراء •

ولكن الصوفية لم يعنهم اللون • بل عناهم النوع والهيئـة أكثر اذ كان البشت هو اللباس السائد بين الطبقات الفقيرة والسواد الأعظم من الأمة العربية ••• ولا يزال هذا اللباس ســـائدا بين رجال الطرق الصوفية •

أقول هذا تعليلا لمـا كان من تفنن المتصوفة واصرارهم على اتخاذ تلك المرقعات وتظاهرهم بذلك اللبـــاس الرث الخشن •• وانى لأوافق جمهرة الباحثين على أن الزهاد الاسلاميين قـد اصطنعوا لبس الثياب الخشنة فى الأصل مجاراة للرهبان المسيحيين •

ولكن المتصوفة فى العصور الأخيرة استعاضوا عنها بتلك المرقعات الرسمية التى كانوا يعتبرونها أصلا من أصول تعاليمهم وطرائقهم •

وما كان لهم من قصد فى ذلك الا التودد الى عامة الناس والتقرب من الفقراء •

وأما اتخاذ الراية الحمراء فان السيد لم يكن مبتدعا لذلك الشعار فقد اصطنع السيد أحمد الرفاعى ذلك من قبل فكان يتخذ علمين حتى عرف بصاحب العلمين •

وهم يردون حمل تلك الراية الى ما يؤثر عن النبى صلى الله عليه وسلم من أنه قدم لواء بنى سليم يوم فتحـــه مكة على سائر الألوية ،

وكان أحمر اللون • ومن المعروف أن النبى قد اتخذ اللواء شعار جهاد وتضحية • وأن ايثار اللون الأحمر يرجع الى ما فى ذلك من الدلالة على معنى الفداء وبذل الروح لأنه لون الدم •

فهل كان السيد وانداده من الصوفية الذين آثروا حمل اللواء وآثروا اللون الأحمر فى اختياره[1] •

وان مما يروى عن الشيخ عبد العال الخليفة الأول للسيد أحمد البدوى قال له : (اعلم يا عبد العال أنى اخترت هذه الراية الحمراء لنفسى فى حياتى وبعد مماتى • وهى علامة لمن يمشى على طريقتنا من بعدى ••)

فأنت ترى أن السيد قد اتخذ تلك الراية الحمراء لتكون شعارا لنفسه • ثم شعارا لطريقته • يحملها خليفته من بعده • وهكذا آثر حملها خلفاؤه فى مواكبهم •

---

(١) هذا هو ما يحتاج الى دليل ثابت .

الحجر الاسود الموجود بركن المقـام

يوجد حجر أسود مثبت فى ركن قبته تجاه وجه الداخل من الجهة اليمنى • وفيه موضع غوص قدمين شاع بين النـــاس أنهما قدما النبى صلى الله عليه وسلم ، ويزعم فريق أنه أثر قدم السيد نفسه • وقـد كان ذلك بركة من بركاته فقد تحدث الشيخ عبد الصمد عن هذا الحجر فيما تحدث عنه من كرامات السيد فقال : (ومن كراماته أن حجرا أسود مثبتا فى ركن قبته تجاه وجه الداخل من الجهة اليمنى وفيـه موضع غوص قدمين شاع بين الناس وذاع واستفاض أنه أثر قدمى رسول الله ، وكل من زار السيد يتبرك بمحل القدمين • فسعى جماعة عنـد بعض السلاطين فى اخراجه من محله ونقله للسـلطان ليتبرك به • فأرسـل السلطان جماعة من الجند يأخذون الحجر فلما هموا بقلعه صار الحجر مما لا يقدر أحد أن يأخذه وهو على الهيئة التى كان عليها قبل ذلك ، فخافوا وتركوه فى محله الى وقتنا هذا ، وهذه كرامة عجيبة(١) •

المعارضون لفكرة هذا الحجر :

يقول المعارضون اننا لو رجعنا الى تقصى هذه المسألة لوجدنا الحجر قد لعب دورا كبـيرا فى تاريخ الديانات والمعتقـدات فلليهود احجـار يقدسونها وللمسيحيين وللمسلمين كذلك •

فمثلا تحت قمة الصعود فى بيت المقدس يوجد حجر فيه أثر صدر قدم يمنى يزعم المسيحيون أنه أثر قدم المسـيح عندما صعد الى السماء وعلى ظهر صخرة بيت المقدس آثار يقول المسلمون : انهـا آثار أقدام النبى حينما سار عليها ليلة الاسراء • وهناك كثير من الأحجار المتناثرة

---

(١) الجواهر السنية ص ٩٦ •

فى مواطن التبرك والأضرحة المعتقدة ، وعليها مثل هذه الآثار ، ولسنا فى حاجة الى دحض تلك الترهات لأنها أهون وأتفه من أن تدحض ٠

ومن الواضح أن الآثار التى تبـــدو فى تلك الأحجار انمــــا هى تجويفات طبيعية ظهرت على شكل مناسب لذلك الاعتقاد الذى يعتقده العامة فيها ويتوهمونه عنها ٠

وقد تكون هذه الآثار آثار أقدام حقا ٠ وذلك بأن تكون هــــذه الأحجار قد خرجت من باطن الأرض فى اندفاع بركانى فكانت لينة ٠ وربما أثرت فيها أقدام شخص عابر أو حركات لتلك المنطقة ٠ فهــــذا الحجر الذى يوجد فى ضريح السيد لا يدل على شىء من بركة السيد كما يعتقد العامة ٠ ولكنه يدل على مهارة خلفاء السيد ودراويشـــه الذين عرفوا كيف يستخدمون كل شىء فى التأثير على عواطف العامة حتى الحجر ٠

المؤيدون لفكرة هذا الحجر :

يقولون ان هذا النوع من الحجارة السود لا يوجـــد الا فى الجبال السود وهى منتشرة بكثرة تسترعى النظر فى بلاد الحجاز ٠ ويقولون : ان رسول الله صلى الله عليـــه وسلم مشى على الرمل الكثيف ، فاقتفى أعـــداؤه أثره فلم يجدوا لقدميـــه الشريفتين أثرا على الرمل الكثيف المهيل ٠

ومشى على الصخر الأسود الجلمود فاثرت قـــدماه الشريفتان فى الصخر الأسود الجلمود ليريهم بهذا وذاك أنواعا من معجزاته ٠

وهذا الحجر الأسود الموجود بركن المقام قيل هو من ذلك الصخر الأسود الذى مشى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأثرت فيـــه قدماه الشريفتان ٠

احتفظ به لأنه أثر من آثاره ٠ وتخليد لمعجزة من معجزاته وقـــد تناوبه بالحفظ المعنيون بالمحافظة على آثاره ٠ حتى استقر فى هـــذا المكان المناسب لحفظه فيه ليبقى فى أناس على مر الدهور علما من أعلام نبوته ٠ وقد ذكر القائلون أن هذا هو قدمه عليه السلام والأدلة تثبت ذلك « منها الشهرة والاجماع » ومنها أنه لا يوجد هناك أى داع يدعو الناس ويدعو النحاتين الى أن يقـــوموا بعملية مفتراة على رســـول الله يضلون بها الناس من غير أن يعارضهم فى هذه العملية المفتراة رئيس دينى أو حاكم شرعى يأخذ على أيديهم ٠ فلمـــا لم يثبت شىء من ذلك فى التاريخ دل ذلك على صحة نسبته الى الرسول ٠

(ومنها) أن بعض المماليك البرجية أراد فى عهده رفعه من مكانه للتبرك به عنده فأرسل عماله ليرفعوه ولما أعملوا معاولهم فى رفعه صادفتهم صعوبات شديدة أعجزتهم عن رفعه من مكانه ولما لم يستطيعوا ذلك تركوه على حاله فكان ذلك منهم بمثابة الاعتراف بصحة هذه النسبة ٠

(ومنها) أنه اذا كان هذا الحجر من صناعة المثالين أو النحاتين فانه لا يمكن أن يقتصر هؤلاء النحاتون على عمل حجر واحد يقيمونه فى مقام واحد من بين مقامات الأولياء ٠ بل ان المنطق والعقل يقضيان عليهم بتعدد هذه الصناعة الفريدة ، ويقضيان عليهم بنشر هذهالصناعة فى مقامات الأولياء فلما لم تتعدد هذه الصناعة رأسا ولما لم يوجد منها فى مقام آخر حجر مثله دل ذلك دلالة على انفراد هذا الحجر بهذه المعجزة العظمى ٠

(ومنها) أن هذا النوع من الحجارة السود لا يوجد الا فى الجبال السود ، وهى منتشرة بكثرة تسترعى النظر فى بلاد الحجاز وليس فى أنحاء مصر جبل أسود واحد ٠ فدل ذلك قطعا على أن هذا الحجر هو حجر المعجزة الكبرى لرسول الله صلوات الله وسلامه عليه ٠

(منها) أنه يوجد بالمقام الحسينى عصا من آثار النبى ٠ ويوجد بمقام سيدى عبد العال شعرة من شعراته ويقول القائمون على حفظها انها آثار النبى ٠

وقد وضع هذا الأثر العظيم فى هذا المكان بالذات ليكون رمزا بما انطبع عليه ٠ لأن أحمد البدوى كانت قدمه على قدم الرسول وكانت سيرته وطريقته على سيرة وطريقة الرسول ٠ وقد أشرنا فى مفتتح هذا الكتاب الى ما يوضح ذلك ٠

ولزيادة الايضاح نقول : ان مواهب رسول الله لأمته كثيرة لا تنحصر فى عدد ، ومن أفضل المواهب موهبة قدمه الشريف ، وموهبة يده الشريفة يهبها للذاكرين الله كثيرا والمشتغلين بأسماء حضرته ٠ وقد اختص البدوى بموهبة القدم لأنه سار على قدمه ونهج منهجه ٠ واختص عليه السلام أجداد البدوى ، فكان وضع القدمين الشريفين عند رأس السيد البدوى رمزا لهذا المقام العظيم ٠

المعتقدات السائدة حول السيد البدوى

يشاع حول السيد كثير من الكرامات والأساطير ، ويروج لهذه المعتقدات أتباع السيد ومريدوه ويبالغون فى هذا الترويج حتى يبدو خيالا ومن هذه المعتقدات :

١ ـ مفرج الكروب :

فهو الذى يلجأ اليه ليسعى عند الله ورسوله لتفريج الكروب • واللطف فى القضاء والقدر •

٢ ـ شفاء المرضى :

فهو الذى يشفى الأبرص والأكمه والمرضى من سائر الأمراض •

٣ ـ بسط الرزق :

فالسيد يبسط الرزق لمن يشاء ، ويقبض عمن يشاء •

٤ ـ دفع الظلم :

فيعتقد أن السيد البدوى يدفع الظلم عن المظلومين ، ويظهر الحق •

٥ ـ حامى طنطا :

فهو الذى حمى طنطا من غارات الألمان فى أثناء الحرب العالمية الثانية وكذلك من غارات الانجليز فى أثناء العدوان الثلاثى ١٩٥٦ م •

٦ ـ تطويل العمر :

فاذا نذرت امراة ابنها للسيد وسمته باسمه ، يعيش ويطول عمره • وهذه من معتقدات العامة كذلك •

هذه أمثلة لبعض هذه المعتقدات لدى العامة وهي تدفعهم الى اللجوء الى ضريح السيد البدوى والتوسل به ، وتقديم النذور وبالاضافة الى المعتقدات السابقة انتشرت حول السيد كثير من الكرامات منها :

١ ـ الغنى والثراء الذى أصاب الشيخ ركن الدين فور نزول السيد عنده • فحينما نزل السيد بمنزله وأقام فى هذه الدار اثنى عشر عاما تتابعت فيها الخيرات الدينية والدنيوية على ركين • وذكروا من هذه الخيرات أن السيد أخبر ركينا بأن البلاد ستواجه غلاء شديدا ترتفع فيه الأسعار ارتفاعا فاحشا ، ويكثر فيها الطلب ويقل العرض وأشار عليه بأن يشترى قمحا ويختزنه عنده بقدر ما تتسع له قدرته لينتفع الناس به • ولا يحتاجون فى طلبه الى مشقة وعناء • ثم قال له وأكراما لهم أرخصه لهم اذا احتاجوه فامتثل ركين لمشورته • وصار يشترى قمحا بكل شيء يملكه أو تملكه نساؤه من حلى أو متاع حتى اختزن عنده ما يستطيع اختزانه • وبعد أن حصل الغلاء وارتفعت الأسعار عما كانت عليه خمسة أضعاف ، استأذنه فى البيع فأذن له وقال بع للناس وسامحهم وارخص لهم فى الثمن • وادخر ذلك عند الله • فربح من بيعه ربحا عظيما قام على أثره بأداء فريضة الحج • وتكاملت عليه نعمة الدنيا والآخرة •

ويروى بعض المؤرخين أن هذا الغلاء وقع فى سنة ٦٣٩ هـ أى بعد دخوله طنطا بسنتين أو بأربع سنوات •

عباءة السيد والشيخ ركين :

وهذه القصة تتلخص فى أنه لما أراد ركين الخروج للحج استأذن السيد فى أخذ عباءة له مفروشة بين يديه • فلم يأذن له فأخذها ركين خلسة من غير اذن على سبيل التبرك باستصحابها • وبينما هو راجع فى الطريق عند العقبة تفقد العباءة فلم يجدها ثم نظر فاذا هى تحت أقدام الجمال ، وقد أصابتها نجاستهم فأسف ركين ثم غسلها ونشرها ثم انشغل عنها ببعض مصالحه • ثم جاء ليرفعها من مكانها • فلم يجدها فأمعن فى البحث فلم يعثر عليها • ولما وصل الى العقبة فى مصر اشترى عباءة أرفع منها ثمنا ليقدمها الى السيد بدلا من عباءته المفقودة• ولما دخل عنده وجد العباءة مفروشة بين يديه فى المكان الذى اختلسها منه • قالوا فتعجب ركين حتى كاد يذهب عقله • فقال له السيد لا تعجب يا ركين • فانك لما نشرتها خفت عليها فأخذتها • ونشرتها فى مكانها والحمد لله على السلامة •

حادثة الشعير الذى تحول الى زريعة :

وهذه القصة تتلخص فى أن بعض الحكام أراد الاستيلاء على تجارة ركين فى الشعير لعلف الخيل والدواب • وكان ركين يتجر فى العسل والزيت والعلف • ولم يكن يومئذ لدى التجار هذا النوع من العلف نظرا للغلاء الذى تقدم ذكره فخاف ركين على تجارته واشتكى الى السيد أمره • فقال له لا تخف يا ركين واذا سألوك عن الشعير فقل لهم الذى عندى زريعة ، أى تقاوى من الشعير النقى الذى يصلح للزرع وليس علفا للدواب ، فاذا قلت لهم ذلك صرفهم الله عنك فلما طالبوه بالشعير قال لهم الذى عندى زريعة فنظروه فوجدوا شعيرا نقيا يصلح للزرع ولا يصلح للعلف فانصرفوا عنه ولم تزل السعادة تلازم ركينا حتى لقى أجله فانتقل السيد الى دار ابن شميط شيخ البلد .

فك الأسرى من أيدى الصليبيين :

ويروج لهذه الكرامة قصص كثيرة منها أن السيد البدوى فك أسر خضرة الشريفة التى أسرها الافرنج وهي قصة منظومة ذائعة بين العامة فى القرى ، وكثيرا ما يتغنى بها المغنون والشحاذون • وهى تتلخص فى ان تلك المرأة كانت ذات حسب ونسب وجمال • وأنها وقعت أسيرة لدى الافرنج • فنهض السيد وخلصها ببركاته وكراماته • وأبدى فى ذلك الوقائع التى تدهش العقول وتحير الألباب • على أننا يجب أن نذكر أن خضرة الشريفة قد ذكرت فى قصة أبى زيد الهلالى على أنها والدة أبى زيد •

وهناك قصة اخرى عن امرأة أسر الافرنج ولدها • فلاذت بالسيد فأحضره اليها فى قيوده •

ولهذا يردد الناس فى مولده حيث يقيمون أذكارهم ويكررون قولهم (الله • الله • يا بدوى جلب الأسرى) •

واخذوا يتوسعون فيها وصنعوا منها أنشودة يترنمون بها فى الموالد والمواكب العامة حتى الأدباتية قد استغلوا هذه الخرافة فى كسب الرزق وليس فينا من يجهل أنشودتهم •

والاعتقاد الشائع بين العامة أن السيد ظل ينقذ الأسرى بعد مماته الى عصر متأخر •

ويبدو لى أن مسألة الأسرى هذه ترجع الى واقعة تاريخية مشهورة• ذلك أن وزارة الأوقاف قد أرسلت بالسيوف والدروع التى غنمها الجيش المصرى من جيش لويس التاسع عشر الذى أسر فى دار ابن لقمان

بالمنصورة ، لتخزن فى مخزن المسجد الأحمدى ، فكان دراويش السيد وأتباعه يتقلدون هذه الدروع والسيوف فى مواكب الموالد الأحمدية •

ويزعمون للناس أنهم الأسرى الذين جاء بهم السيد من بلاد أوربا، فلما تقدمت الأيام انتقلوا بهذا الزعم فقالوا انهم سلائل أولئك الأسرى•

اللبن والثعبان :

وهذه قصة أخرى لرجل مر بالسـيد وهو يحمل قربة لبن فأومأ اليها البدوى باصبعه فانخرقت وانسكب اللبن • وخرجت منه حية قد انتفخت وبذلك حفظ الناس من شر هذا اللبن المسموم •

الشعرانى وسبب حضوره الى مولد السيد البدوى :

وهناك قصة للشعرانى يحكيهـا عن نفسه وسبب حضوره للمولد الأحمدى كل عام[١] اذ يقول :

(وسبب حضـورى مولده كل عام أن شيخى العـارف بالله محمد الشناوى كان قد أخذ على العهد فى القبة تجاه وجه سيدى أحمـد وسلمنى اليه بيده ، فخرجت اليد الشريفة من الضريح وقبضت على يدى • وقال سيدى : يكون خاطرك عليه واجعله تحت نظرك • فسمعت أحمد البدوى من القـبر يقول : نعم ثم انى رأيته بمصر مرة أخـرى هو وسيدى عبد العال وهو يقول : زرنا بطندتا ونحن نطبخ لك ملوخيـة ضيافتك • فسافرت فأضافنى غالب أهلها وجماعة المقام ذلك اليـوم كلهم بطبيخ الملوخيـة . ثم رأيتـه بعد ذلك ، وقد أوقفنى على جسر قحافة تجاه طندتا فوجدته سورا محيطا وقال : قف هنا أدخل على من شئت • وامنع من شئت • ولما دخلت بزوجتى فاطمة أم عبد الرحمن وهى بكر ، مكثت خمسة شـهور لم أقرب منها . فجاءنى وأخذنى وهى معى • وفرش لى فرشا فوق ركن القبة التى على يسار الداخـل ، وطبخ لى حلوى • ودعا الأحياء والأموات اليه • وقال أزل بكارتها هنا فكان الأمر تلك الليلة) !

وقد استدل (جولد سير) بهذه الحكاية الأخـيرة التى رواها الشعرانى على أن التوسل بأحمد البدوى قد خالطته مظاهر تنـافى الأخلاق •

وتقول دائرة المعارف الاسلامية ، ان الدعوة الى ازالة البكارة أمام الضريح وما تبعها من تنفيذ تطابق تمام المطابقة روح أحمد وطبيعـة

---

(٢) طبقات الشعرانى : ج ٢ •

التوسل به ، فى حين انها تتعارض تماما مع طبيعة الشعرانى وشعوره الدقيق فيما يتصل بالمسائل الجنسية •

ثم يمضى الشعرانى فى قصته فيقول « وتخلفت عن ميعاد حضورى للمولد سنة ثمان وأربعين وتسعمائة • وكان هناك بعض الأولياء فأخبرونى أن سيدى أحمد كان فى ذلك اليوم يرفع الستر عن الضريح ويقول : أبطأ عبد الوهاب ما جاء •• وأردت التخلف سنة من السنين فرأيت السيد البدوى ومعه جريدة خضراء • وهو يدعو الناس من سائر الأقطار ، والناس خلفه ، وعن يمينه وشماله . أمم لا يحصون فمر على وأنا بمصر فقال : (أما تذهب ؟ فقلت بى وجع • فقال : الوجع لا يمنع المحب) ثم أرانى خلقا كثيرا من الأولياء وغيرهم من الأحياء والأموات من الشيوخ ، والزمنى أكفانهم وهم يمشون ويزحفون معه ويحضرون المولد •

ثم أرانى جماعة من الأسرى جاءوا من بلاد الافرنج مقيدين مغلولين يزحفون على مقاعدهم فقال : انظر الى هؤلاء فى هذا الحال ولا يتخلفون؟ فقوى عزمى على الحضور فقلت له : ان شاء الله نحضر فقال : لا بد من الترسيم عليك • فرسم على سبعين عظيمين أسودين كالأفيال وقال : لا تفارقاه حتى تحضرا به • فأخبرت بذلك الشيخ محمد الشناوى فقال : سائر الأولياء يدعون الناس بقصادهم والبدوى يدعو الناس بنفسه الى الحضور •

ثم قال : ان الشيخ محمد السرورى تخلف سنة عن حضور المولد • فعاتبه السيد وقال : موضع يحضر فيه رسول الله والأنبياء معه وأصحابهم والأولياء لا تحضره ؟ ..

فخرج الشيخ محمد فوجد الناس راجعين • وفات الاجتماع فكان يلمس ثيابهم ويمر بها على وجهه •

وقد ذكر محمد فهمى عبد اللطيف[1] « أنه (الشعرانى) تقابل بولى من أولياء الهند بمصر . فقال ضيفونى فأنا غريب وكان معه عشرة أنفس ، فصنعت له فطيرا وعسلا ، فأكل ، فقلت له : من أى البلاد فقال من الهند ، فقلت ما حاجتك فى مصر ؟ فقال حضرنا مولد السيد البدوى . فقلت له : متى خرجت من الهند ؟ قال خرجنا يوم الثلاثاء فنمنا ليلة الأربعاء عند سيد المرسلين ، وليلة الخميس عند الشيخ عبد القادر ببغداد . وليلة الجمعة عند السيد البدوى بطندتا . فتعجبنا من ذلك . فقال : الدنيا كلها خطوة عند أولياء الله . فقلنا له : من عرفكم

---

(۱) السيد البدوى : ص ۱۰۲ .

بالسيد البدوى فى بلاد الهند ؟ فقال : يا للعجب ، ان أطفالنا الصغار لا يحلفون الا ببركة سيدى احمد وهو من أعظم ايمانهم ، وهل احد يجهل سيدى أحمد ، وأولياء ما وراء البحر المحيط وسائر البلاد والجبال يحضرون مولده ؟ .

الشيخ الشناوى وما يحدث فى المولد :

ويستطرد الشعرانى فى الرد عن انكار الفقهاء والمفكرين لاقامة هذا المولد وما يحدث فيه من المآثم فيقول :

« واخبرنى الشيخ محمد الشناوى ان شخصا انكر حضور مولد سيدى أحمد ، فسلب الايمان ، فلم تكن فيه شعرة تحن الى دين الاسلام فاستغاث بالبدوى فقال : بشرط ألا تعود . فقال : نعم . فرد عليه ثوب ايمانه . ثم قال له : وماذا تنكر علينا ؟ قال : اختلاط الرجال والنساء . فقال له السيد : ذلك يقع فى الطواف . ولم يمنع احد منه ، ثم قال وعزة ربى ما عصى احد فى مولدى الا وتاب وحسنت توبته . واذا كنت أرعى الوحوش والسمك فى البحار واحميهم بعضهم من بعض ، افيعجزنى الله عن حماية من يحضر مولدى ؟ .

أبو الغيث بن كتيلة وتصلب الشوكة فى حلقه :

وابو الغيث هذا احد العلماء بالمحلة الكبرى واحد الصالحين بها ، كان بمصر فجاء الى بولاق ، فوجد الناس مهتمين بأمر المولد والنزول فى المراكب ، فانكر ذلك وقال : هيهات أن يكون اهتمام هؤلاء بزيارة النبى مثل اهتمامهم بأحمد البدوى . فقال له شخص : سيدى أحمد البدوى ولى عظيم ، فقال : فى هذا المجلس من هو أعلى منه مقاما ، ثم عزم عليه شخص فأطعمه سمكا . فدخلت حلقه شوكة ، وتصلبت ، فلم يقدروا على نزولها بدهن عطاس ، ولا بحيلة من الحيل ، وورمت رقبته حتى صارت كخلية النحل ، وبقى تسعة شهور وهو لا يلتذ بطعام ولا شراب ولا منام ، وانساه الله تعالى السبب ، فبعد تسعة شهور ذكره الله بالسبب فقال : احملونى الى قبة السيد البدوى . فادخلوه فشرع يقرأ سورة يس فعطس عطسة شديدة فخرجت الشوكة مغمسة دما . فقال : تبت الى الله يا سيدى احمد وقد ذهب الوجع والورم من ساعته .

ابن الشيخ خليفة أبيار والحية التى اماتته :

وانكر ابن الشيخ خليفة بناحية ابيار بالغربية حضور اهل بلده الى المولد . فوعظه شيخنا الشيخ محمد الشناوى فلم يرجع فاشتكاه لاحمد

البدوى فقال : ستطلع له حبة ترعى فمه ولسانه ، فطلعت من ذلك اليوم وأتلفت وجهه ومات بها .

أسطورة الفقيه :

ووقع ابن اللبان فى حق البدوى فسلب القرآن والعلم والايمان فأخذ يستغيث بالأولياء فلم يقدر أحد منهم أن يدخل فى أمره فداوه على سيدى ياقوت العرش . فمضى الى سيدى أحمد وكلمه فى القبر . وقال له : أنت أبو الفتيان . فرد على هذا المسكين رأس ماله . فقال بشرط التوبة فتاب ورد عليه رأسماله. وهذا كان سبب اعتقاد ابن اللبان فى سيدى ياقوت العرش رضى الله عنه وقد زوجه سيدى ياقوت ابنته ودفن تحت رجليها بالقرافة .

الطفل الذى احياه السيد :

وهذه كرامة أخرى للسيد وهى لامرأة مات ولدها الصغير وجاءت الى السيد البدوى وهى باكية . وقالت يا سيدى : ما أعرف ولدى الا منك . وقام الفقراء يمنعونها ، فما قدروا ، وهى تقول : سقت عليك الله ورسوله . ثم ان السيد البدوى مد يديه اليه ودعا له فأحياه الله تعالى ببركة دعائه .

وبذلك يقال عن السيد بأنه عيسوى المقام .

قاضى القضاة ونفيه الى جزيرة لا يعلمها :

وهناك كرامة أخرى :

سمع قاضى القضاة آن ذاك « تقى الدين بن السعيد » عن البدوى فنزل اليه بناحية طندتا ، وقال له يا أحمد هذه الحال ما هو مشكور . فانه مخالف للشرع ، فانك لا تصلى ولا تحضر الجماعة ، وما هذه الطريقة طريقة الصالحين . فالتفت اليه البدوى وقال : أسكت .. ودفعه فلم يشعر بنفسه الا وهو فى جزيرة لا يدرى بما حدث . فقال له الرجل : ان السيد البدوى يؤم الناس فى صلاة العصر هنا مع جماعة من الرجال ، فاذا صليت معهم ، فتعلق به وتأدب معه . وعندما فرغ البدوى من الصلاة استعطف البدوى فسمح له ، ودفعه دفعة بسيطة قائلا له : اذهب الى بيتك فان عيالك فى انتظارك ، فلم يشعر ابن دقيق العيد بنفسه الا وهو بباب داره بمصر .

وهذه كرامة أخرى :

وهى ما يرويه الشعرانى فى طبقاته :

من ان أولياء ما وراء المحيط وسائر البلاد والجبال يحضرون مولد السيد .

كما يعتقد أحباء السيد أن رسول الله يحضر مع السيد البدوى فى الليلة الختامية للمولد ، ويذكر مع الذاكرين مع آلاف المنشدين الذاكرين .

عجول السيد البدوى :

وهناك أمثلة كثيرة عن عجول السيد . وتتلخص هذه الرواية انه كان هناك بعض الأشخاص يدربون بعض العجول ، ويسمونها عجول السيد البدوى ، وينطلقون بها فى البلاد ويتركونها تدخل الدور وتقتحم المنازل كما دربوها وعودوها ، ثم يزعمون للعامة انها مباركة بفضل مدد السيد فكان الناس لايمسوها بسوء ، بل لقد كانوا يتمسحون بها ويفرقون على أصحابها الهبات والنفحات .

هز الهلال :

ويعتقد بعض العامة ان السيد البدوى يهز الهلال الذى فوق قبته أيام المولد احتفاءا بالوافدين ، ولذلك فانت تسمع كثيرا من الزائرين يرددون « هز هلالك يا شيخ العرب يا سيد » .

مدد يا شيخ العرب :

وقد عبر الشيخ عبد الصمد عن المدة التى عاشها البدوى بمصر وغيرها بكلمة « المدد » التى اشار اليها فى البيت الآتى :

ان رمت تعرف مدة قد عاشها بدوينا ، راجع تواريخ المدد

وقد اتخذ الشعرانى من كلمة «المدد» معنى يعبر به عن قدرة البدوى الروحية فقال : وكان سيدى عبد العال يأتى البدوى بالرجل أو الطفل فيطأطىء من السطوح ، فينظر اليه نظرة واحدة فيملؤها مددا . ويقول لعبد العال : اذهب به الى بلدة كذا او موضع كذا .

نستخلص مما سبق أن ما كان عليه البدوى من الدرجة العلمية والقدرة الروحية انما هو صورة صادقة لعصره ، وان فيما درسناه من مبادئه وآرائه ، وما أشرنا اليه من مؤلفاته وعاداته وكراماته خير شهيد

وأقوى دليل على صحة ما قصدنا اليه فى هذا السبيل ، وأن من الحكمة وحسن التقــدير أن ينظر الباحث الى العصر الذى يكتب عنــه بمنظار العصر نفسه ، وأن يكون حكمه قائما على قاعدة « القياس مع الفارق » فيعطى ما لقيصر لقيصر ، وما لله لله .

أثر المعتقدات والكرامات حول السيد البدوى :

ان هذه المعتقدات التى لا يقبلها العقل يروج لهــا أتباع السيـــد ودراويشه وقد أساءوا بها الى السيد ذاته .

ولقد أضاعت المعتقــدات حول السيد التفكير السليم عند الشعب فقد روج لهذه المعتقدات بين السذج هؤلاء الأتباع ذوو المكر والحيلة التى ساعدتهم على التأثير على عقلية السذج من الجماهير ، وسيطرت عليها ، وكانوا يزيدون فى عقول هؤلاء السذج ثباتا باقناعهم أن هذه المعتقدات لا تقبل المناقشة ولا يناقشها الا الكفرة والحاقدون . وما أكثر الأمثلة التى تروج لها هذه المعتقدات التى تبث فى الشعب روح الكسل والتواكل والاستسلام والانعزالية . وخاصة عند الذين يريدون الهروب من الحياة لشدة البؤس الذى يعانوه . فيرتضون بالحيـــاة التى يعيشونها مبررين ذلك بالأمثـــلة التى أنتجتها العقلية المطبوعة بهذه المعتقدات ومنهـــا :
« ربنا عايز كده » ، « المعطى هو الله » ، « حد واخد منها حاجة » .

فالنـــاس بدلا من أن يذهبوا بالمريض الى الطبيب أو المســتشفى يسارعون الى السيد يقرءون الفاتحة ويتوسلون اليه .

أليس هو يشفى الأبكم والأبرص ؟ .. كما سمعوا عن السادة المشايخ الذين يعتقد عامة الناس فيهم انهم رجال الدين ، وما هم كذلك ، فيهملون ارساله الى الطبيب لينال مصيره من موت أو مضاعفة المرض .

ويا حبــذا لو شفى المريض .. كرامات السيد حلت عليه .. ونذره ما يخيبش . فهو لا يرفض له رجاء .. ولا تخيب له شفاعة . وهكذا نجد أن هذه المعتقدات ذات أثر على الشعب فى جميع نواحى سلوكه سواء فى العمل أو الصحة أو العلاقات بين الأفراد ولقد انطبع تفكير العامة بهذه المعتقدات وخاصة أنها تتخذ الصبغة الدينية .

ولذلك نجد أثر هذه المعتقدات أقوى وأعظم عند الريفيين لأنهم يميلون الى الجانب الروحى والدينى أكثر من المدنيين .

حقيقة أن تلك العقائد التى تستبد بوجدانات الجماهير الشعبية فى التعلق بسكان الأضرحة والقباب العالية ترجع الى هؤلاء الدراويش والأتباع والمريدين . وقد نجح أتباع السيد البدوى فيما يريدون من التأثير فى

اتجاهات الشعب • وتكييف ميوله • وهذا التأثير لم يقف عند حد واحد• ولكنه شمل جميع النواحى الدينية والاجتماعية والفكرية والفنية •

وقد ساعد على تثبيت هذا الاعتقاد الراسخ عند المصريين منذ القدم وهذا التأثير أثر فى نواح كثيرة أهمها :

(أولا : الناحية الدينية) :

ان ما يجريه العامة بل وبعض المثقفين أيضا عند أضرحة الأولياء من التودد والابتهالات والتوسل وما يبذلونه من نذور وقرابين ، وكذلك تقبيل الضريح والتمسح به يرجع الى هؤلاء الذين اتخذوا التصوف والدروشة مهنة لهم • فصبغوا الحياة الدينية لدى العامة بصبغتهم • وما يوضح خطورة هؤلاء الأتباع أن الطريقة الأحمدية المتفرعة الى أربع عشرة طريقة هى أكبر الطرق الصوفية •

(ثانيا : الناحية الاجتماعية) :

كان تأثير مدعى التصوف فى الناحية الاجتماعية أعظم أثرا وخطرا • فقد زيفوا للناس حياة الكسل والتواكل والانصراف عن العمل• وأدى ذلك الى سوء تفكيرهم لاعتقادهم بأن هذا مقدرة الولى مساعدتهم فى كل شئون الحياة ومشاكلها • وكانوا يعتقدون أن كل كائن هو كائن سواء عمل المخلوق أو لم يعمل ، مع أن الاسلام دين العمل لا دين الكسل والاتكال على القدر المكتوب كما يعتقدون • وزينوا للناس حياة الفقر والتسول والرضا بالعيش والصدقات التى كانت قوام المعيشة لهم وخاصة فى العصور الأخيرة • وهم يدعون الى هذا التواكل والاستسلام معتقدين أن بركات أولئك الأولياء فيها قدرة على حماية البلاد وصيانة العباد •

واذا راقبنا مايفعله زوار السيد البدوى أمام المقام لأدركنا خطورة ذلك الأثر ، فتجد الزارع يرجو من السيد ــ لا من الله ــ البركة فى الزرع والضرع ، والصانع يطلب تسهيل العمل وتيسير الرزق ، والتاجر يطلب الزواج ، والمظلوم يدعو للانتقام من ظالمه ، والمريض يتوسل للشفاء ، والعانس تتضرع لحل عقدتها ، والضرة تطلب قصف رقبة ضرتها ، والعاقر تلح فى جبر كسرها بالولد وصاحبة الولد تتوسل ليطول عمره ويعيش •

من هذه الأدعية يتضح لنا مدى توغل الاعتقاد فى كرامات السيد الذى يؤثر على المجتمع سواء فى حالته الاقتصادية أو الصحية أو شئون الأسرة ، أو العلاقات بين الأفراد •

ولكن حاشا لله أن يقبل الاسلام هذا • فالاسلام دين دنيا وآخرة ، دين علم وعمل •

فالاسلام ينشد المسلمين الأعزاء بدينهم وأموالهم ، لا أن يكونوا أذلاء عن العمل ، متواكلين يتـكاسلون لا يذكرون قول الله تعالى (فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله) •

والحديث الشريف الذى يفضل النبى فيه الحطاب الذى يعول أخاه الناسك المتعبد • فالاسلام دين عمل ودنيا قبل أن يكون دين آخرة •

فمئات الألوف من أتباع السيد فى القرى والريف يرهبون التخلف عن مولده ويخشون أن هم قصروا فى عادة من عاداتهم نحوه او أبطئـوا فى اداء النذور له أن يبطش بهم ، ويغضب عليهم وهو « العطاب » الذى لايتغاضى عن حقوقه ، ولايصبر على المدينين له ، ومن الأمثـلة المشهورة بينهم : « قطع الورايد ولا قطع العوايد » وتلك أوهام العامة وموروثاتهم •

مخلفات البــدوى

وقد ترك البدوى بعد وفاته لخليفته عبد العال نصيبه من الدنيـــا • لينال حظا أسمى ، وجزاء أوفى فى الآخرة. ولم يزد هذا النصيب الدنيوى عن عمامة وعباءة وقميص ومشط ومسبحة كبيرة كلها محفوظة فى مكان خاص بهـــا بالمسجد الأحمدى بطنطا • ولا يزال خليفته الى اليوم يلبس العمامة والعباءة فى المولد الكبير •

(خلى البساط أحمدى) :

ونحن نسمع هذه العبارة كثيرا • فقد كان من أبرز عادات البــدوى الاجتماعية شهامة ونجدة وسخاء وجودا • بحيث لا تعرف هذه الصفات حدا تقف عنده • ومن ذلك اشتهر المثلان المأثوران : (شىء لله يا سيد • والبساط أحمدى) • فكان البــدوى لا يعرف كلمة ــ لا ــ من قاموس معاملته مع الناس • فلم يرد لسائل مسألته • ولم يمنع محتاجا حاجته • ولا حبس عن مستغيث نجدته • وليس أبلغ من الاقرار له بالتفوق فى ميادين هذه الصفات من اقرار دائرة المعارف فى المجلد الأول صفحة ٤٦٦ حيث سجلت له فخرا ، وقررت فى مجلدها (أن تلك العادات المحببــة تأصلت فى نفس البدوى بعد اشتهار أمره بطنطا ونصره الله له نصرا مبينا) •

وقوله عن نفســه (سواقى تدور على البحر المحيط • ولو نفد ماء سواقى الدنيا كلها ما نفد ماء سواقى) •

اتهام بعض الاعداء له بالجاسوسية للفاطميين

وهناك بعض المتشككين في السيد ويسألون ماذا بدا من مقاصد السيد في السياسة ؟. وما رأيناه قد كشف من ذلك شيئا . ولا حاول فيه غرضا • مع أنه قضى فى مصر أربعين عاما يجمع الأنصار والأتباع من حوله • ثم اننا لم نلمس أى أثر لشيء من هذا عند خلفائه وأتباعه الذين أتوا من بعده والذين ملئوا فجاج الأرض بدعوته .

الواقع أن السيد لم يكن يطلب ملكا لنفسه • أو يهدف الى غاية تتصل بشخصه وانما كانت غايته أن يجمع عصبية فى الديار المصرية للعلويين كتلك العصبيات التى كان يجمعها غيره من الصوفية فى أقطار العالم الاسلامى • حتى تكون عونا لهم اذا ما تهيأت الفرصة ونهضوا لطلب الملك . ولكن احداث الزمان جاءت قاسية عنيفة فسحقت كل غرض ومحقت كل قصد اذ تتابعت الحملات الصليبية على مصر والشام • ووقعت الواقعة بين الشرق والغرب الى حد طار بالنفوس شعاعا . وملأ القلوب بالفزع والجزع . فلم تعد هناك عصبيات للجماعات ، ولم تعد الأحوال ملائمة للقيام بثورات داخلية فى طلب الملك والسيادة وانما كانت هناك عصبية عامة يتواجه فى ميدانها الشرق والغرب • ويقوم على أساسها الصراع بين الهلال والصليب • فأين كانت تكون من هذا كله دعوة السيد أحمد البدوى وأين كانت تكون أغراض العلويين وغير العلويين ؟ •• لم تسعف الأيام ولم تساعد تصاريف الزمن على أن يستغل العلويون ما بث لهم الصوفية من دعوات ودعايات : ولكن بقيت القلوب تفيض بالهوى نحن أولئك العلويين والألسن تتحدث بمناقب آل البيت وكراماتهم • حتى أصبح الصوفية أنفسهم لايكرمون ولا يقدرون الا على أساس ما لهم من نسب شريف وحسب علوى • وكان أن أشيعت الشائعات التى تميز

أولئك الأشراف • وشاعت أيضا فكرة النسب والانتساب • وكثر فى ذلك الأدعياء من الخلطاء •

وقصـــارى القول أن السيد كان يهدف الى غرض • ولكن تطورات الحوادث حجبت ذلك الغرض • وسدت مســـالك الطرق اليه • فكان أن اتجهت دعوة السيد الى ذلك الغرض الذى ظهر فيما بعد • ووضحت آثاره فى تلك الدعوة الصوفية التى ملأت طول البلاد وعرضها •• وكثرت حشـودها وأتباعها . وكان لها ما كان من صبغة لا تزال الوانها وآثارهـا بادية كأقوى ما تكون فى المجتمع المصرى • وهكذا أراد السيد شيئا • ولكن الأقدار أرادت شيئا آخر . وكان للأحداث والظروف الحكم فى الاتجاه الذى ظهرت فيه فبقى من غرضه ما كان ظاهرا واختفى ما كان مستورا وما خسر السيد فى هذه الصفقة • بل لقد ربح ربحا طائلا من بسطة النفوذ • وكثرة الأتباع • وحسب السيد أن وراء قبره ملتقى رغبات الشعب • وقبلة الآلاف من العامة والخاصة • يتمسحون بأعتابه ويتعلقون بأستاره وأن المراسيم فى موالده وفى مواكب تجـــرى على وضع رســمى كأنها جزء من مراسيم الدولة •

المنكرين لنسب السيد البدوى بالامام على

وهناك بعض من يقول ان السيد البدوى لا يتصل نسبه بالامام على • ولكن أجمع الرواة والمؤرخون على هذا التاريخ وفى مقدمتهم المقريزى والسيوطى والشعرانى والخفاجى وعبـد الصمد • وقـــد اتفقت جميع الروايات على اتصاله بجده الامام على بن أبى طالب كرم الله وجهــه • وأجمع الكتاب والرواة فى جميع العصور على ذلك • وروى المؤرخون أبياتا شعرية كان يرددها فى أثناء نومه جاء فيها قوله :

أمام ملوك الأرض شرقا ومغـربا ... وأفضـلهم طـــه الحبيب المطيب
أبو بكر الصـــديق مع عمر كـذا ... وعثمان ذو النورين بالفضل قد حبوا
ومن بعدهم زين العشـــائر كلهم ... على أمـــير المؤمنـــين الملقب
ومن بعده الحسـن المنير جبينـه ... رداه شراب بالســـموم مشرب
ومن بعده حبى الحســين كريمه ... شريف شـــهيد مات وهو مطيب
ومن بعدهم زين القبـــائل كلهم ... على ابنـــه فهو الشريف الملقب
ومن بعدهم قطب العـــلوم محمد ... وجعفر موسى من أصـــول تطيبوا
ومن بـــدهم ذاك الرضاء عليهم ... بطوس له قـــبر كريم محجب
ومن بعدهم زين الرضـــاء محمد ... كذاك ابنه الهـــادى على المقرب
وأما على فالخليفـــة بعـــدهم ... على ســائر الأقطاب وهو مؤدب

السيد البـــدوى والعرب الذين تصـــدوا له فى العـــراق

ويزعمون أن رجالا من العرب تصدوا للسيد وشقيقه الحسن وهما عائدان من زيارة عدى بن مسافر . فوقف لهم السيد قائلا : يا قوم الزموا الأدب . . فنحن من أهل الحسب والنسب من قبل أن يقع عليكم الغضب ويحل بكم العطب . ثم أومأ اليهم بيـــده وقال لهم موتوا باذن من يحيى الموتى ويميت الأحيـــاء . فقام الجميع وقبلوا الأقـــدام واستأذنوا فى الانصراف .

(البدوى لا يأخذ المفتاح الا من يد الفتاح) :

وقد نسبوا أن السيد لم يرحل الى العراق الا بعـــد أن انتقل اليه الرفاعى والســـيد عبد القادر الجيلانى وغيرهما من الأولياء والصالحين فى الرؤيا . وهو بمكة ورجوه أن يتفضل بزيارتهم فى العراق وأن يرحل اليهم ليحمل راية الطريق ثم يزعمون أن الرفاعى والجيـــلانى عرضا على السيد أن يسلماه مفاتيح البلاد والعباد . ويأخذ منها ما يشـــاء . ولكنه أبى قائلا (لا آخذ المفتاح الا من يد الفتاح) .

ولأهـــل الطرق والأفكار أوهام كثيرة منها ما ينسبونه الى الأولياء كقول بعضهم ان السيد أحمد البدوى صعد الى السماء مؤملا أخذ العهـــد من الرسول . فسبقه الرفاعى ، ومد يده اليه فتناولها البدوى وأخـــذ العهد منها . ثم قابله الرفاعى عند نزوله وسأله ممن أخذ العهد فقـــال له : من الرسول فقال له أتعرف اليد التى قبضت عليها ؟ قال نعم فمد اليه يده قائلا : أمثل هذا اليد ؟ فلما تأملها البدوى كظم غيظه ..

(السيد البدوى وعبد العال) :

ولا يفوتنا هنـــا أن ننوه برأس أولئك الدعاة . وشيخ السطوحية والخليفة الأول للسيد . وهو الشيخ عبد العال الفيشاوى .

أصل هذا الشيخ من بلدة (فيشا المنارة) احـــدى البلاد القريبة من طنطا ، وقد اتصل بالسيد فى أول قدومه الى طنطا وكان هو لما يزل فتى حدثا ويظهر أنه لم يكن على جانب من الفقه والدراية العلمية . ولكن يظهر أنه كان ذكيـــا لبقا فى فهم مرامى شيخه . وتلقى تعاليمه والاخلاص فى خدمته . لهذا ولأنه من جوار طنطا وله بأهلها وأهالى البلاد المحيطة بها خبرة ودراية ، فقـــد قربه الســـيد وجعله رأس خاصته . وصاحب الاذن عليه حتى ينقل اليه ما يعرف من أحوال الناس وأحوال الحكام . فكان له أشبه ما يكون بصاحب الديوان .

ولا ننسى أن للصوفية ديوانا فخما • تقدر فيـه الدرجات والمراتب للاتباع والمريدين . كما تقدر فيه الحظوظ والأرزاق لعامة الناس المحبين.
ويعتبر عبد العال هذا بالنسبة لشيخه البدوى كما كان افلاطون بالنسبة لأستاذه سقراط فكما أن افلاطون قد حفظ تراث أستاذه واضاف آراءه الى آراءئه • وأقام من هذا « الخليط » بنـــاء ضـــخما فى عالم الفلسفة والفكر ، فكذلك تناول عبد العال دعوة شيخه البدوى فخلطها بأهوائه واتجاهاته وأقام لها الرسوم والطقوس ، وتمشى بها مع عقلية الأتباع والدارسين ، وبهذا يعتبر عبد العال نقطة التحول فى دعوة السيد الى الاتجاه الذى سارت فيه من بعد ، وظهورها بالمظهر الذى نراه عليه اليوم • وكان لشخصيته وعقليته فى هذا أثر ظاهر بارز •

ويرى الأستاذ مصطفى عبد الرازق أن الفضل يرجع الى عبـد العال فى صقل الطريقة الأحمدية بالمظهر المصرى والروح المصرية • وتخليصها من المظهر الغربى الذى كان عليه السيد فلم يبق لها من ذلك الا اتخاذ اللثامين • والبشت الصوف •

فالشيخ عبد العال قـد اقام نفسه خليفة للسـيد ، وارتضى الاتباع الخلافة نظرا لما كان له من المكانة والقربى عند شيخه • وبهذا ورث عنه آثاره فى مظاهر الدعوة وهى : البشت الصوف والعلم الأحمر واللثامان • وقد بقيت هذه الآثار تركة يتوارثها الخلفاء من بعده • ولقد بذل الرجـل همه فى اعلان مظاهر الدعوة الأحمدية وبسط سلطانه على حساب هـذه الدعوة • فهو الذى أبتنى المقام فوق ضريح السيد البـدوى كما ابتنى خلوة للأتباع والدراويش حول هذا الضريح • وقد تحولت هـذه الخلوة فيما بعد الى ذلك المسجد الكبير القائم الآن • ثم هو الذى رتب للدراويش والفقراء • وأمر بتصغير الخبز الذى يوزع عليهم • ولا يزال الخبز الذى يوزع فى موالد السيد على هذه الحال الى اليوم • ثم هو صاحب الجهـد فى اقامة الموالد للسيد والمواكب وسائر الرسوم التقليدية القائمة •

ولقد كان الشيخ عبد العال يفرض سلطانه على الاتباع والمريدين بنفوذ شيخه • وبما ينقل لهم من تعاليمه التى كان يزعم أنه اختصه بها • وآثره بنصوصها • فكانوا يتقبلون ذلك منه بالاذعان والابتهال • ويظهر انه كان حاد المزاج يعامل الأتباع بالصرامة والشدة . وهو يوصف عند العامة بهذه الصفة • وانهم ليضربون به المثل فى ضيق الطعن وعـدم الاحتمال ، ويزعمون أنه لا يزال على هذه الصفة بعد مماته • فاذا ماتكاثر الزائرون فى مقامه قعقع السقف من فوقهم دلالة على ضيق الشيخ بهم •

وليست هذه الأسطورة الوحيدة التي يحكيها العـــامة عن الشيخ عبد العـــال • بل ان حياته وشخصيته وصـــلته بالسيد ليست كلها الا سلسلة متكاملة الحلقات مع حياة السيد •

وقد توفي عبد العـال عام ٧٣٣ هـ • فاذا عرفنـــا أن السيد توفى عام ٦٧٥ هـ أدركنا أن الشيخ عبد العال قد بقى يحمل لواء الدعوة حوالى ٥٨ عاما . وهى مدة طويلة مكنت له فى ادراك اغراضه ، وافسحت أمامه المجال فى توطيد أركان الدعوة كما يريد • ولقد دفن عبد العال بجوار السيد ، وأقيم له مقام كان من الطبيعى أن يكون أقل من مقام شيخه • أى على قدر ما يكون بين الأستاذ والتلميذ والشيخ والمريد •

(السيادة الدينية للبدوى) :

يقول بعض المعترضين انه ليس فى الاســـلام سيادة دينية لأحـد ولا لمحمد صلوات الله وسلامه عليه • وانما ظهرت هذه السيادة فىالعصور المتأخرة ، ولكن السيادة الدينية أثبتها القرآن نفسه • ونادت بها الملائكة (يا زكريا ان الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله وســيدا وحصورا ونبيا من الصالحين) •

وأن السيادة الدينية أثبتها رسول الله لنفسه تحدثا بنعمة الله تعالى فقال أنا سيد ولد آدم ولا فخر •

وقد قال رسول الله للأنصار : قوموا لسيدكم •

وأن الامام الشافعى ينـــادى هو وأصحابه وكل طبقات الشافعية ينادون فى صلاتهم من القرن الثامن الى يومنا هذا فى المساجد والبيوت وكل بقاع الدنيا « اللهم صلى على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد » • من هذا نرى أن السيادة الدينية ثابتة فى الاسلام • وأولى بهـــا وأحق رسول الاسلام • وثابتة أيضا للسيد أحمد البدوى باجماع الرأى العام • وأصبحت السيادة مقرونة باسمه لفظا واشارة •

فتلك السيـادة لقبه بها معاصروه ، واطلقها عليـــه عارفوه يقينا منهم بأنه غير محتاج الى القاب تمجده ، أو شهرة دنيوية تخلده . حتى أصبح مشهورا ، ومعروفا ممهورا .

واذا سمعت خاصة الناس وعامتهم يطلقون لفظ السيادة فى أحاديثهم وتركوه دون تفسير للمراد منهم • انصرف ذهن السامع فورا الى رجـل واحد ظهر فى القرن السابع الهجرى • وأصبح لفظ (السيد) من تاريخه المادى والمعنوى ، ذلك الرجل هو ولى الله السـيد (أحمد البدوى) فكان

ذلك من الناس خاصة وعامة واشهارا لسيادته الدينية . واجماع الناس وحده دليل كاف على سيادته .

فاذا كان محمد صلى الله عليه وسلم سيد الرسل والأنبياء . فأتباعه وانصاره وآله واصحابه سادة بهذه التبعية . ونستدل على ذلك بقول الله تعالى : « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » .

واذا كان رسول الله سيد ولد آدم . فيكون الأولياء سادة بالوراثة والتبعية .

وقد استحق البدوى السيادة من أجل حياته المشحونة بالمكرمات والطيبات فهو فى القلوب سيادة وكرامة ، وفى الناس قيادة وأمانة وفى الخطوب نجدة وشهامة وفى صفوف السادة رأس وزعامة . أقر بها واعترف كل العقلاء والمهتدين . وأشار اليها ووصف جميع العلماء العاملين . فكانت سيادة لها من الفضل مكانة مكان . لم تستطع سبعة قرون أن تقهر مالها من أمر وسلطان .

وها هى السيادة اليوم . أصبحت لقبا لكل مواطن يستظل بالراية العربية ، ويخفق فوق رأسه لواء الوحدة القومية دستورا رشيدا من الثورة .

فسيادة البدوى استحقها عن كفاية وجدارة . ولقبه الناس بها اقرارا له بشرف الصدارة ، فاشتهرت به واشتهر بها ، وعرفته الملايين بصفتها ولقبها ، ونادته بها الخاصة قبل العامة ، وعرفه بها الأعلام والأئمة .

عادات السيد ومعاملاته

اشتهر البدوى بسلوك اجتماعى حميد . فضلا عن عاداته فى تعبده وذكره . وطاعته .

وكان من أبرز عاداته الاجتماعية شهامة ونجدة وسخاء وجود . ومن ذلك اشتهر المثلان المأثوران (شىء لله يا سيد . والبساط أحمدى) فلم يرد السائل مسألته . ولم يمنع محتاجا حاجته ولا حبس عن مستغيث نجدته .

وقد سجلت له دائرة المعارف فى المجلد الأول صفحة ٤٦٦ (أن تلك العادات المحببة تأصلت فى نفس البدوى بعد اشتهار أمره بطنطا ونصر الله له نصرا مبينا) .

وقد قال البدوى عن نفسه (سواقى تدور على البحر المحيط • ولو نفد ماء سواقى الدنيا كلها ما نفد ماء سواقى) •

ولذلك قصده الناس خاصتهم وعامتهم فى حاجاتهم واتخذوا من قوله هذا شعاراتهم • اقرارا بجوده ونجـــدته • فكانت ألسنتهم تنـــادى شىء لله يا سيد •

وقد قال السيد لتلميذه الأول (انى أساعد الفقراء لا بحولى ولا بقوتى ولكن ببركة جدى صلى الله عليه وسلم) •

وكذلك قوله أنا زيت من لا زيت له •

وكذلك وصفته دائرة المعارف الاسلامية فى صفحة ٤٦٨ بانه (أكبر اولياء مصر ومفرج كل الكروب منذ عهد طويل) •

وهاهو ذا الشيخ الدرينى يصـــفه بقوله (بحر لا يدرك له قرار) اقرارا له فى ذلك بطول الباع •

وكان السيد يحب أن يسأل ليدعو الله للســـائل • ويشفع له لدى جنابه فتجاب دعوته وتنفرج كربته • حتى امتزجت هذه الخصال فى نفسه (وكان حريصا كل الحرص على نفع الناس كل النفع حدبا وعطفا وصفة ووصـــفا) •

وقد اشتهر بتواضعه وعدم تكلفه فى كل أموره حتى أصبحت كلمة البساط الأحمدى تشير الى ذلك •

واتصف كذلك بالاباء والشمم فى غير كبر أو خيلاء • والاعتـــداد بالنفس دون ما ترفع أو كبرياء • وكانت كل صفاته ومعامــلاته تتحقق بقول الله فى كتابه (ولكن كونوا ربانيين) وقول رسوله الكريم (تخلقوا بأخلاق الله) •

(الشروط اللازم توافرها لتلاميذ البدوى) :

فهناك شروط اعلنها البدوى لتلاميذه لتكون علامات يعرفون بها • فلن يكون تلميذا صادقا له الا من اتصف بشروط أهمها أن يكون على عرفان بالله • لا بالدليـــل والبرهان فقط بل بالشهود والعيـــان تحققا بمقام الاحسان •

كما يعرف تلاميذه بالمراعاة التامة لأوامر الله بعزائم لا برخص ، والسير فى تاديتها بكمال غير ذى نقص •

كما يعرفون بالطهارة الدائمة الحسية والمعنوية والاستمساك المتواصل بالسنة النبوية والرضا عن الله فى كل الأحوال • واثقين بما وعد الكبير

المتعال مشفقين على عباد الله متواضعين لهم متيقنين بعداوة الشيطان ومتيقظين لدسائس النفس ٠

فآراؤه تربى عليها أوائل الرجال ومبادئه نهج على أثرها أوائل الأبطال ٠

وقد اشتهر بالذكاء والنبوغ حتى اعترف له شيخ الاسلام المعاصر فاعتذر له ٠ وصار خير تابع وناصر ٠

وقد اعترفت دائرة الاسلام فى ذلك للبدوى (بأنه كان من زعماء فلاسفة التصوف ٠ حتى تركزت فيه شتى رغائب معاصريه والذين سبقوه أو جاءوا بعده) ٠

(سدانة الضريح) :

وكانت هناك وظيفة يظهر أنها كانت ذات خطر وشأن ٠ وأنها كانت أيضا وسيلة للثراء وكسب الأموال ٠ وقوة النفوذ ٠ وهى وظيفة خدمة الضريح ٠ أو سدانة الضريح كما يسميها الجبرتى ، ولقد ذكر الجبرتى فيما كتبه عن على الكبير أنه اهتم بانشاء العمارة العظيمة الخاصة بالمقام الأحمدى وتوابعه ٠ وأنه ولى المعلم حسن عبد المعطى المشد على تلك العمارة سدانة الضريح الأحمدى ٠ بدلا من أولاد سعد الخادم لسوء سيرتهم وظلمهم ٠ فنكبهم على بك ٠ وأخذ ما أمكنه أخذه من أموالهم ٠ وهو شىء كثير وأنفقه فى هذه العمارة ٠

ومن ذلك يتبين أن خدمة الضريح كانت وظيفة لها خطرها ومكانتها وأنها كانت طريقا للظلم وأخذ الأموال ٠

ولكن يفهم من رواية أخرى للجبرتى أن سدانة الضريح قد عادت مرة ثانية الى أسرة الخادم بعد على الكبير وان الأقدار قد نكبتهم نكبة أشد وأقسى ٠ وذلك فى أثناء الحملة الفرنسية على مصر ٠

قال الجبرتى وهو يروى الحوادث التى وقعت بين المصريين والفرنسيين عام ١٢١٥ هـ ٠ (ومنها أنه لما حضر العثمانيون وشاع أمر الصلح وخضوع الفرنسيين لهم ٠ ونزلت طائفة من الفرنسيين الى المنوفية ٠ وطلبوا من أهلها كلفة لرحيلهم ٠ وقد مروا بطنطا ونزلوا بها ٠ وحدث أن وصل رجل من المنتسبين للعثمانيين من جهة الشرق لزيارة أحمد البدوى وهو راكب على فرس وحوله نحو خمسة أنفار ٠ وكان بعض الفرنسيين بداخل البلدة يقضون بعض أشغالهم ٠ فصاحت السوقة والباعة عند رؤية ذلك الرجل بقولهم : نصر الله دين الاسلام ٠ وهاجوا وماجوا ٠ ولقلقت النساء بألسنتهن ٠ وصاحت الصبيان ٠ وسخروا بالفرنسيين ٠ وتراموا بما

على رءوسهم وضربوهم وجرحوهم وطردوهم . فانسحبوا من عندهم ثم غابوا ثلاثة أيام . ورجعوا اليهم بجمع من عسكرهم . ومعهم الآلات من المدافع فاحتاطوا بالبلدة وضربوا عليهم مدفعا ارتجوا له . ثم هجموا عليهم وبأيديهم السيوف المسلولة . ويقدمهم طبلهم . وطلبوا خدمة الضريح الذين يقال لهم أولاد الخادم وهم ملتزمو البلدة وأكابرها . ومتهمون بكثرة الأموال من قديم الزمان . وكانوا قبل ذلك بنحو ثلاثة أشهر قبضوا عليهم باغراء القبط . وأخذوا منهم خمسة عشر ألف ريال . بحجة مسالمتهم للعرب . فلما وصلوا الى دورهم طلبوهم فلم يمكنهم التغيب خوفا على نهب الدور وغير ذلك . فلما ظهروا لهم أخذوهم الى خارج البلد وقيدوهم . وأقاموا نحو خمسة أيام خارجها يأخذون كل يوم ستمائة ريال سوى الأغنام والكلف . ثم ارتحلوا وأخذوا المذكورين ضحيتهم الى منوف . وحبسوهم أياما . ثم نقلوهم الى الجيزة أيام الجراية بمصر . فلما انقضت تلك الأيام وسرحوا فى البلاد نزلت طائفة منهم الى طندتا . وهم بصحبتهم وقدروا عليهم واحدا وخمسين ألف ريال فرنسى . وعلى أهل البلد كذلك بل أزيد . وأقاموا حول البلد محافظين عليهم وأطلقوا بعضهم وحجزوا المسمى مصطفى الخادم لأنه صاحب الأكثرية فى الوظيفة والالتزام . وطالبوه بالمال . وفى كل وقت ينوعون عليه العذاب والعقاب . والضرب على كفوف يديه ورجليه . ويربطونه في الشمس فى شدة الحر والوقت صيف . وهو رجل جسيم كبير الكرش فخرجت له نفاخات فى جسده . ثم أخذوا خليفة المقام أيضا وذهبوا به الى منوف . ثم ردوه وولوه رياسة جمع الدراهم المطلوبة من البلد . فوزعت على الدور والحوانيت والمعاصر وغير ذلك وقد استمروا على ذلك الى انقضاء العام حتى أخذوا عساكر المقام وكانت من ذهب خالص زنتها نحو خمسة آلاف مثقال) (١) .

وان هذه القصة التى يرويها الجبرتى لتصور لنا تصويرا واقعيا مدى ما كان لخدمة ضريح السيد والقائمين بوظائفه من الخطر . وكثرة المال فى تلك الأيام .

---

(١) الجبرتى : جـ ٣ ص ١١٧ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفاة السـيد

(تاريخ الوفاة) :

أجمع الرواة اجماعا تاما على أن وفاة البدوى كانت يوم الثلاثاء الثانى عشر من ربيع الأول سنة ٦٧٥ هـ (٢٤ أغسطس سنة ١٢٧٦ م) وهو يوم احياء ذكرى مولد النبى صلى الله عليه وسلم ٠

وكانت وفاته بطنطا حيث كان يعيش ٠ وحيث كان يتعبد ٠ وحيث توفى ودفن ٠ وحيث أقيم له القبر ٠ وحيث اشتهر هذا القبر حتى بنيت عليه قبة ٠ ثم بنى حولها مسجد عظيم ٠ يعتبر بحق من أكبر المساجد فى مصر وأعظمها شأنا منذ عهد بعيد ٠

(المـدد) :

وقد عبر الشيخ عبد الصمد عن المدة التى عاشها البدوى — بمصر وغيرها — بكلمة « المدد » التى أشار اليها فى البيت الآتى :

ان رمت تعرف مـدة قـد عاشها بدوينا ، راجع تواريخ المـدد

ومعنى ذلك أن مجموع الأرقام التى تدل عليها حروف كلمة « المدد » بحساب الجمل تعادل عدد السنوات الهجرية التى عاشها البدوى ومقدارها ٧٩ سنة ٠ ويساوى هذا العدد المدة بين سنة ٥٩٦ هـ وهو تاريخ الميلاد وسنة ٦٧٥ هـ (تاريخ الوفاة) ٠

ولتفسير ذلك المدد نقول : الألف تحسب بواحد واللام بثلاثين والميم بأربعين والدالان بثمانية فالمجموع تسعة وسبعون سنة وهى تعادل المدة من سنة مولده وهى سنة ٥٩٦ هـ الى سنة ٦٧٥ هـ سنة وفاته ٠

وفى هذا رمز الى أن حياته كانت مددا عظيما أمد الله به الناس ليبعث فيهم روح الحياة والعمل الصالح .

وقد اتخذ الشعرانى من كلمة « المدد » معنى يعبر به عن قوة البدوى الروحية ، فقال « وكان سيدى عبد العال يأتى الى البدوى بالرجل أوالطفل فيطأطىء من السطوح فينظر اليه نظرة واحدة فيملؤه مددا . ويقول لعبد العال : اذهب به الى بلدة كذا أو موضع كذا » .

(عبد العال الأنصارى أو خلفاء البدوى) :

كان أول من تولى شئون الفقراء من الأحمدية بعد وفاة البدوى عبد المتعال كما يسـميه على مبارك . وقد قام بعمله هذا خير قيام . فـكان خير خلف لخير سلف ، وتلقب بالخليفة ، لأنه خلف أستاذه البدوى فى تدبير شئون طريقته التى كثر أتباعها وذاع صيتها . وقد كان لجهود عبد العال فى هذا السبيل ما شجعنى على أن أقوم بترجمة حياته التى اتصلت بحياة البدوى اتصالا وثيقا منذ هبط طنطا . نشأ عبد العال منذ طفولته بجانب البدوى فشب على طاعته وتشبع بمبادئه واتبع آراءه . ولما كبر اتخـذه البدوى الامام الأمين وهو الذى يلى القطب فى الدرجة مباشرة .

ويعتبر مركزه أرقى من الامام الأيسر وكلاهما يليان القطب : أحدهما عن اليمين وهو المفضل ، والآخرعن اليسار وهو أقل من الأول فى الدرجة . ويصفهما الخفاجى نقلا عن المناوى فيقول :

« والامامان وزيران للقطب (الغوث) أحدهما عن يمينه . ونظره الى الملكوت . وهو مرآة ما يتوجه فيه الى المحسوسات عن المادة الحيوانية . وهو أعلى من صاحبه . فيخلف القطب اذا مات » .

ويشير الى ذلك ابن عربى عند وصفه لطبقات الركبان من المتصوفة : فيقول : « وهم على طبقات ، منهم : الأقطاب ، والأئمة ، والأوتاد والأبدال والنقباء والنجباء ، والرجبيون ، ومنهم الأفراد » وقد أشار مؤلفو دائرة المعارف الاسلامية الى امامى البدوى فقالوا :

« انه كان يقوم الليل يتلو القرآن كما كان يأتم به امامان فى الصلاة » ومن المسلم به عند الصوفية أن هذين الامامين هما وزيرا القطب ومساعداه وهما أول طبقات الصوفية بعد القطب .

ولقد كان عبد العال صورة صادقة لأستاذه البدوى فقد أدرك علوم الطريقة . وتفهم فنون القوم . حتى لقد ظهر أثر تلك التربية الروحية فى حسن سياسته لأهـــل الطريق . وفى تنظيمه لشئون الفقراء طول حياته ، وترجع صلة البدوى بعبد العال الى زيارته لبلدة « فيشا المنارة »

(فيشا سليم الآن) • احدى ضواحي مدينة طنطا • حيث كانت تعيش أسرة عبد العال الأنصارى التى أعجب بعض رجالها وخاصة عبد المجيد أخا عبد العال الأكبر بالبدوى وسيرته ، فبدأت العلاقة بين عبد المجيد ثم أخيه الأصغر عبد العال بهذا الولى العظيم منذ أوائل عهده بطنطا وضواحيها ولقد كان من أثر توطيد تلك العلاقة أن شغل عبد العال بأمر البدوى درجة دفعته الى صحبته والقيام على خدمته مع أخيه عبد المجيد

ورأت أمه أنها ستحرم رؤية عبدالعال فعملت على قطع صلته بالبدوى فكانت تقول : « يا بدوى الشؤم علينا » وكان البدوى اذا بلغه ذلك يقول : « لو قالت يا بدوى الخير لكان أصدق » •

وقد روى عبد الصمد عند تفصيله لأخبار السطوحية تاريخ العلاقات بين البدوى وأسرة عبد العال فقال : (ومن السطوحية الشيخ الصالح سيدى عبد المجيد أخو سيدى عبد العال الخليفة الأعظم لسيدى أحمد البدوى ، نشأ هو وأخوه فى ناحية فيشا المنارة ، ووقع له ولأخيه مع سيدى احمد البدوى أول قدومه الى طندتا (طنطا) وقائع كثيرة • وأحبهما وقربهما ، وأخبر والدتهما أن الشيخ عبد العال هو الخليفة من بعده فى مقامه •

وأما الشيخ عبد المجيد فكان يتردد على سيدى أحمد البدوى أيام وقوفه على السطح • ثم انقطع الى الله وصحب سيدى أحمد البدوى مدة طويلة ، وتأدب بآدابه وعرف اشاراته ، وكان لا ينام الليل تبعا له •

وقد استمر عبد المجيد على صلته بالبدوى حتى مات • وكانت وفاته قبيل وفاة البدوى بسنوات ودفن ببلدته (فيشا سليم) وله فيها مسجد خاص لا يزال قائما بها الى اليوم •

وعندما مات عبد المجيد خلفه أخوه عبد العال فى القيام بخدمة البدوى ومباشرة صحبته • حتى كان له الامام الأيمن والوزير الأول • ولم تسلم صلة البدوى بأسرة عبد العال من القصص والأساطير كغيرها من الموضوعات المتصلة بتاريخ البدوى •

ومن أشهر تلك القصص ، قصة اللثامين التى تعلل لنا مقدار تعلق عبد المجيد بأستاذه البدوى ، ورغبته فى تعرف أحواله ، ولو أدى الأمر الى تقديم روحه رخيصة فى سبيل شغفه بحب الاستطلاع • ولعل الرواة أرادوا أن يربطوا حادثة وفاة عبد المجيد بنوع من أقاصيص البطولة التى تخلد اسمه كواحد من أصدقاء البدوى ، وكرجل من رجاله المخلصين فعقدوا الموازنة بينه وبين ابن جلا بطل اللثام القديم الذى رددت قصته كتب المؤرخين ، وألسنة الرواة فى عصور مختلفة •

وليست قصة البيضة الا احدى القصص التي ذكرت لربط العلاقة بين البدوى وعبد العال برباط روحى قصد به التـــأثير فى نفس والدة عبد العال ، حتى تعترف بقوة البدوى الروحية ، وتطمئن الى مصير ابنها بين يديه ·

وتتلخص هذه القصة كما رواها الشعرانى فيما يلى :

نزل البدوى من السطح وخرج الى ناحية فيشا المنارة فتبعه الأطفال فكان منهم عبد العال وعبد المجيد ، فورمت عين سيدى أحمـد ، فطلب من سيدى عبدالعال بيضـة يعملها على عينه . فقال له سيدى عبدالعال : وتعطينى الجريدة الخضراء التى معك ، فقال سيدى أحمد : نعم · فأعطاه اياها ، فذهب الى أمه فقال لها : هنا بدوى عينه توجعـــه · فطلب منى بيضة وأعطانى هذه الجريدة · فقالت : ما عندى شيء · فرجع فأخـبر سيدى أحمد بما حدث فقال له : اذهب فأتنى بواحدة من الصومعـــة · فذهب سيدى عبد العال · فوجد الصومعة قد ملئت بيضا ، فأخذ واحدة وخرج بها اليه ·

فى هذا الثوب أخرج لنا الشعرانى قصة « البيضة » فجـــاءت على غرار أقاصيصه التى تفرد باخراجها فى حلقـــات تاريخ البدوى ظاهرة الاضطراب والمبالغة ، فضلا عن أنه صور البدوى فى صورة بعض مدعى التصوف الذين غلبت عليهم الشعوذة ، وقل الاعتقاد فيهم ، فضربوا فى الأرض يتلمسون الأنصار والأتباع · ولو كانوا من الأطفال والصبيان · ولقد كان عبد العال عند حسن ظن أستاذه به · فقد خلفه على طريقته وظل كذلك حتى مات · ويصف عبد الصمد عهد خلافة عبد العال للبدوى نقلا عن مخطوط للشيخ جمال الدين سبط الحافظ بن حجر ، فيقول :

(ولما مات سيدى أحمد البدوى يوم الثلاثاء ١٢ من ربيع الأول سنة خمس وسبعين وستمائة تخلف بعده الشيخ الصـالح مربى المريدين ؛ وعمدة السالكين العارف بالله ، المعمر ، سيدى عبد العال ، فشيد أركان البيت ، ورتب الأشاير · وقصده الناس للزيارة من سائر الأقطار حتى توفى يوم السبت المبارك الموافق لعشرين خلت من شهر ذى الحجة سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة[١] ·

ولقد كانت خلافة عبد العال للأحمدية بوصية من البدوى له · وقد أشار عبد الصمد الى هذه الوصية رواية عن عبد العال نفسه فقال :

(فعمرت الزاوية · ورتبت فيها الفقراء ، والمريدين ، كما أشار على البدوى بذلك · وصرت خليفة من بعده باذنه لى صريحا) ·

---

(١) الجواهر : ص ١٦ ·

وروى الشعرانى أن البدوى ، استخلف بعده على الفقراء سيدى عبد العال فسار سيرة حسنة وعمر المقام والمنارات ورتب الطعام للفقراء وأرباب العشائر •

وظل عبد العال فى خلافته نحو ٥٨ سنة ـ استطاع فى أثنائها أن يوطد أركان الطريقة الأحمدية بعد وفاة عاهلها ، وأن يعمل على احياء تراث أستاذه •

وقد أراد السيد أن يبنى لعبد العال زاوية وحدد له وصفها فوق الكوم الآخر بجوار بيت الشيخ شحيط • فقال له يا سيدى هذا الكوم عال علينا • فقال له البدوى انى آمر من يعاونك على ازالته • فقال سيدى عبد العال : فلما لقى أستاذى ربه سألت من كلفه سيدى أحمد بهذه المعاونة فقلت له : أرحنى من هذا الكوم أراحك الله • فأمر أعوانه فرفعوا الكوم وبددوه فى أقرب وقت ، ثم بنى الزاوية فى مكانها وعمرها ورتب فيها الفقراء والمريدين كما أشار عليه أستاذه ، وله كرامات كثيرة ذكرها المؤرخون ، ومن كرامته الباقية أن كل حاجة عرضت عليه أولا ، قضيت عند أستاذه لكونه الواسطة بينه وبين أتباعه حيا وميتا • ولهذا ينبغى زيارته أولا قبل زيارة استاذه •

وقد اشتهر بأنه صاحب الشورى • وأظهر صفاته هدوء أخلاقه واجارته لمن يستجير بحماه كأستاذه ، وعطفه على الفقراء والعواجز حتى اشتهر بأبى العواجز •

أما مركزه الصوفى فقد بلغ درجة الأقطاب الكبار وفاقها • لأن الخليفة لا يكون خليفة الا اذا كان على قدم أستاذه وشرب من مشربه • ولما كانت درجة سيدى أحمد فوق درجة الأقطاب ، كانت درجة خليفته تبلغ درجة الأقطاب أو تزيد •

وقد عمر رضى الله عنه عمرا طويلا ينوف عن المائة • فقد خدم أستاذه أربعين سنة • وكانت سنه وقت أن باشر خدمته لا تقل عن عشر سنين وعاش بعده خليفة ٥٨ سنة •

وقد عاصر عبد العال فى عهده الطويل تسعة من سلاطين المماليك البحرية هم : الظاهر بيبرس ، فى أواخر أيامه • ثم ولداه السعيد بركة خان ، والعادل سلامش ، ثم المنصور قلاوون وابناه الأشرف خليل والناصر محمد ثم العادل كتبغا ، والمنصور لاجين ، والناصر محمد بن قلاوون للمرة الثانية ، ثم بيبرس الثانى والناصر محمد للمرة الثالثة وفى عهده توفى عبد العال بعد أن استمرت خلافته من سنة ٦٧٥ هـ حتى سنة ٧٣٣ هـ •

الخلافة في أسرة عبد العال :

ولقد استمرت خلافة السيد بعد موت الشيخ عبد العال في أسرته ، ويظهر أنها صارت فى هذه الأسرة تقليدا وراثيا • فقد أورد الحافظ بن حجر ثبتا مسلسلا بمن تولى الخلافة الأحمدية من هذه الأسرة فقال : «ومن بعد الشيخ عبد العال ، تخلف شقيقه الشيخ الصالح زين العابدين بن عبد الرحمن فعمر البيت ، وقصده النـاس للزيارة من كل جانب • وتبركوا به وأتوه بالنذور • واستشفعوا به عند الحكام حتى توفى فى الرابع والعشرين من شهر شعبان سنة أربع وخمسين وسبعمائة •

ثم تخلف من بعده الشيخ الصالح نور الدين أبو محمـد شقيق الشيخ عبد العـال أيضا فلم يزل قائما بشعائر المقام حتى توفى فى رجب • ثم تخلف من بعده ولده المعمر محمد شمس الدين ، فساد وجاد ، وخضعت له رقاب الولاة وغـيرهم • وتخلف من بعده ولده أحمد فسار سيرة حسنة فى المقام • ثم تخلف من بعده ولد أخيه الشيخ عبد الكريم ابن على بن محمد فلم يزل خادما للمقام حتى توفى مقتولا » •

ويبدو لى أن قتل هذا الخليفة الأخـير كان يرجع الى أسباب تتعلق بالخـلافة • بدليل أنها خرجت من هذه الأسرة وصـارت – كما يقول السخاوى الى شيخ اسمه سالم • وعلى أية حال فان أحدا من هؤلاء الخلفاء لم يكن له من الأثر فى خدمة الطريقة الأحمدية ولم يكن له من التقدير والاجلال مثل ما كان عليه الشيخ عبد العال •

الشناوى •• والشناوية

ولكن حدث بعد ذلك أن غلب الشناوية على الخلافة الأحمدية وهم ينتسبون الى الشيخ عمر الشناوى من بلدة شنوى • وكان من اتبـاع السيد السطوحيين •

وقد تمت الرياسة والمكانة فى ذلك لحفيده الشيخ محمد الشناوى •• ويقول بعضهم انه يتصل بالنسب الى الشيخ عبد العال • وقد ترجم له الشعرانى فى الطبقات وأطنب فى مدحه وتمجيده . وقال انه كان صاحب جاه وسلطان واسع •• حتى ان أهل الغربية كانوا لا يزوجون أولادهم ، ولا يختنونهم الا بحضوره • ويؤخذ من كلام الشعرانى ورواة المناقب ان هذا الشيخ قد أبدى همة كبيرة فى خدمة الطريقة الأحمدية ورعاية أهلها •

ويقول الشعرانى انه هو الذى أبطل البدع التى كانت تحدث فى مولد السيد • ومنع الدراويش من نهب متاع الناس • وأكل أموالهم

بغير طيبة نفس . وكانوا قبل ذلك يقولون انه حـلال . لأن جميع بلاد الغربية بلاد السيد البدوى . ونحن من فقرائه .

وكان من عادة الشناوى أن يحضر مولد السيد من بلده فى موكب عظيم يعلو فيه التهليل والذكر . وفى أثناء الطريق ينضم اليه كثيرون من أهالى البلاد حتى يمتد الموكب ويتزاحم فيه الخلائق . ويظل سائرا الى أن يدخل المقام الأحمدى ولا يزال من المتبع الى الآن أن يخرج خليفة السيد يوم الأربعاء من أيام المولد الى قنطرة سـمنود ، أى عند مدخل المدينة طنطا قديما حيث يستقبل الشناوية على ما كان من العادة فى ذلك من قبل .

والشناوية الآن طائفة كبيرة تتبع الطريقـة الأحمدية . وتعرف بالشناوية الأحمدية .

خلفاء السيد ونظام الخلافة

ولكن على الرغم مما أدرك خلفاء السيد من مكانة فى المجتمع وجاه بين الناس وسلطان عريض واسع على العباد فان المؤرخين لم يعنوا بتدوين تاريخهم كما يجب ٠

على أن المؤرخين عامة ورواة المناقب خاصة يتحدثون عن خلافة السيد كأنها وضع من أوضاع الدولة ، ويضيفون عليها من المهابة والاجلال الشيء الكثير ٠

ولقد ظل نظام الخلافة للسيد متبعا ٠ كما أقامه الشيخ عبد العال فمن حق الخليفة أن يرث تراث السيد من اللثامين والبشت الصوف والعلم الأحمر ٠ وان يتقبل النذور والأموال الموقوفة والعطايا الممنوحة٠ وله التصرف المطلق فى أمرها ٠ كما كان له السلطان المطلق على جميع أتباع الطرق الأحمدية ودراويشها فى سائر الأقطار والأمصار ٠

أما واجبه فأمر خفيف ظريف ٠ وهو أن يقرأ ورد الطريقة مع الأتباع بعد صلاة الجمعة من كل أسبوع فى الخلوة الأحمدية ٠

كما عليه أن يركب تلك الركبة المعروفة بركبة الخليفة فى المولد ويظهر أن الجانب العلمى لم يكن يراعى فى اختيار هؤلاء الخلفاء فكثيرا ما كانوا يختارون من الجهلة الأميين ٠ وكل ما هناك أن يراعى فى ذلك صلة نسب أو قرابة ومظهر صلاح واخلاص للطريق ٠

ولقد تطور الزمن بأوضاع الخلافة الأحمدية ٠ فصار فى عصر من العصور يختار للسيد خليفتان ٠

ولسنا ندرى على التحقيق متى قام هذا الوضـــع • وهو لا يزال جاريا الى اليوم • كما أن تدخل وزارة الأوقاف فى شأن هذه الخلافة ، جعل نظامها محصورا وسلطانها ضيقا ، فليس للخليفة سلطان الا على خدام المقام وهم المعروفون بالمقاماتية •

كما لم يصبح له فى النذور والأوقاف الا النســبة المقــدرة له فى صــندوق النذور • ثم ما يصل اليه من الهـــدايا والعطايا الخاصة أما الاشراف على الأوقاف والأضرحة وما الى ذلك فالأمر فيـــه الآن لوزارة الأوقاف •

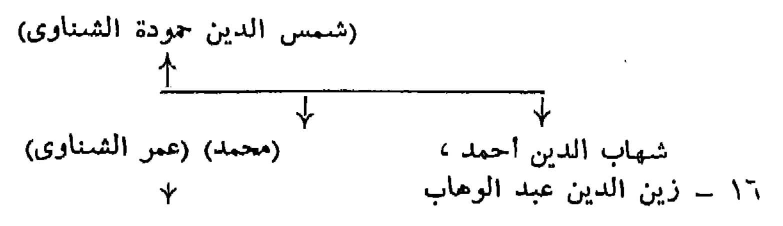
خلفاء السيد أحمد البدوى من وقت وفاته حتى الوقت الحاضر :

١ ــ عبد العال الأنصارى
٢ ــ زين الدين عبد الرحمن
٣ ــ نور الدين على أبو محمد
٤ ــ شمس الدين محمد
٥ ــ شهاب الدين أحمد
٦ ــ زين الدين عبد الكريم
٧ ــ جمال الدين سالم

٨ ــ برهان الدين ابراهيم

٩ ــ شمس الدين محمد
١٠ ــ عبد الكريم
١١ ــ عبد المجيد
١٢ ــ أحمد الأحمدى
١٣ ــ كريم الدين

١٤ ــ كريم الدين ١٥ ــ زين الدين عبد العـــال (شمس الدين محمد حمودة الشناوى)(١) •



(١) تدل الأسماء الموضوعة بين الأقواس على أن أصحابها لم يتولوا الخلافة الأحمدية .

(محمد) (عمر الشناوى)

١٧ ـ عبد الوهاب ١٨ ـ أحمد عبد الوهاب شمس الدين محمد

١٩ ـ محمد حموده ٢٠ ـ خليل عبد الوهاب ٢٠ ـ سيد أحمد

٢١ـ سعد أحمد ٢١ ـ محمد الشناوى

٢٢ ـ محمد أحمد سعد ٢٢ ـ محمد محمد الشناوى

٢٣ ـ مصطفى محمد ابراهيم ٢٣ ـ عبد العزيز

٢٤ ـ مصطفى ٢٤ ـ محمد كامل البهى

٢٥ ـ أمين ٢٥ ـ أحمد كامل البهى

٢٦ ـ مصطفى (الخليفة الحالى) (الخليفة الحالى)

الادلة التفصيلية ضد المنكرين لولاية السـيد البـدوى

بقى أن نرد بشىء من التفصيل الموجز على الذين أنكروا عليه الولاية وألصقوا بتاريخه تهمة التجسس • وحاولوا التشكيك فى نسبه وتجريده من سيادته الدينية • وغير ذلك من الافتراءات والادعاءات وسنحاول هنا فضح ما انطوت عليه صحائفهم من التزييف والاختلاق •

١ ــ اختلاف دعاواهم وتناقضها يكذبها :

ويكفى هذا ليكون دليلا كافيا وحده على دفع مفترياتهم • ففى اتهامهم له بالجاسوسية نراهم فى بعض ما يكتبون ينسبون له التجسس لحساب العلويين تارة • وفى بعضها الآخر ينسبونه لحساب الفاطميين تارة أخرى • وفى دعاوى غيرها ينسبونه لحساب العباسيين وطبيعى أن اختلاف هذه المزاعم يقطع بزيفها وزورها ، اذ نفس هذا الاختلاف يكذب مزاعمهم التى تكذب نفسها بنفسها • ويرد بعضها على البعض الآخر بذاتها •

٢ ــ تاريخ ميلاده يبطل هذه التهمة :

فقد أجمع الرواة والمؤرخون أنه ولد عام ٥٩٦ هـ ــ ١١٩٩ م وهذا التاريخ يجعل مزاعمهم كلها من أبشع المغالطات التاريخية حيث تبين أنه ولد بعد انقراض الدولة الفاطمية بحوالى ثلاثين سنة • هذا فضلا عن أنه أمضى فى طنطا حوالى أربعين عاما أخرى لم يثبت فيها اتصاله بأية صورة بالفاطميين •

وأما زعمهم بأنه يتجسس لحساب العلويين فان ذلك مغالطة أخرى

لأن العلويين تركوا الحكم والسياسة للأمويين والعباسيين بعد استشهاد الامامين علي والحسين رضى الله عنهما ٠

٣ ـ اعتناقه لتصوف مصر السنى :

وهذا وحده لمن أقوى الأدلة التى تدفع هذه التهمة لأن السلطـــان صلاح الدين الأيوبى حين أسس دولته واعتنق المذهب السنى ٠ وبلغ الأمر بالسيد البدوى أن عقدوا له لواء الزعامة الصوفية ٠

٤ ـ حياته بطنطا وليست بعاصمة البلاد :

فقد كانت حياته كلها منذ أن وطئت أقدامه مصر حتى آثر جـوار مولاه فى تلك القرية الصغيرة المغمورة التى اشتهرت باسم طنطا ٠ ولم يعمل على اقامته بعاصمة البـــلاد أو بغيرها من العواصم الشـــهيرة كالاسكندرية فان من ألزم لزوميات الجاسوسية أن يقوم الجاســـوس بجوار الأهداف التى يتجسس عليها ٠ واذا كان الأمر كما يزعمون جاء للتجسس على الحكام فهؤلاء يقيمون بطبيعة الأمور فى القاهرة وليس بأيسر من اقامة الجاسوس فى المكان الذى يقيم به حكام الدولة ٠

٥ ـ اشتراكه فعليا فى الحروب الصليبية :

فقد أكد الرواة أنه اشترك فى أهم معركة صليبية قرب المنصورة عام ١٢٤٨ م فكيف نستسيغ عقلا أن رجلا جاء ليعمل على هدم الحكم وخلع الحكام ثم يحارب ليساندهم ضد أعدائهم حتى انتهت المعركة وأسر الملك لويس التاسع قائد الصليبيين ٠

٦ ـ اعتقاد الحكام فى ولايته :

هذا الاعتقاد الذى أعلنه على رءوس الأشهاد والخاصة والعـامة أن الحكام سواء أكانوا من الأيوبيين أم من المماليك كانوا يجهزون مواكبهم الرسمية ويسيرون بها الى طنطا للزيارة والتبرك ٠ فان الظاهر بيبرس آخر الحكام الذين عاصرهم أعلن ولاءه واعتقاده بصورة أنه قبل الأرض بين يديه وطلب الدعاء له والتبرك به ٠

٧ ـ عدم اهتمامه بالسياسة برغم تهيىء الفرص :

فقد حضر الى مصر زمن الملك العادل بن الكامل وكان عهـده تسوده الفوضى لاستهتاره فخلعه الشعب وتولى بعده أخوه الصالح نجم الدين وكانت هذه فرصة له لاقتلاع الحكم من جذوره ٠

٨ ـ عدم ثبوت مؤامرات له طول حياته :

فلم يثبت اطلاقا قيامه بالتـدبير أو بالاشتراك أو بالمشـورة لأى مؤامرة ضد أى حكم ٠

٩ ـ تصوفه لم يختلط بمظاهر السياسة :

فنزعته الصوفية لم تختلط اطلاقا بأى مظهر سياسى فى أى حكم والدليل على ذلك احترام جميع الحكام له ولاعتقادهم فيه حتى أصبح اجلال الحكم للصوفية بعده من آثاره المشهودة ٠

١٠ ـ علاقته بالحكام كانت طيبة للغاية :

ويدل على ذلك توالى زياراتهم له ٠ وتسـييرهم المواكب الى طنطا لتأكيد علاقاتهم الطيبة بل وأتبعوا ذلك باغداق الهدايا على أتباعه ٠

١١ ـ عدم اشتغاله بالسياسة طول حياته :

فلم يعرف له اشـتغاله بالسياسة على أية صـورة بل كان مهتما بتدعيم دعوته الصوفية حتى وصـفته دائرة المعارف بزعامة التصـوف الاسلامى وأكبر الأولياء فى القرن السابع الهجرى ٠

١٢ ـ عدم وجود دولة سياسة يعمل لها :

١٣ ـ اشتهاره بالقاب الفضل والعلم والولاية :

فقد لقبوه بالسيد ، الامام البدوى ، الملثم ، الفتى ، العطاب ، الزاهد ، القطب ، القدس ، الصامت ، الولى ، ندهة المنضام ، دليـل الحيران ، مجيب الأسارى ، أبى فراج ، باب النبى ، السطوحى ، الصالح ، المعتقد ، العارف بالله ، أبى العباس ، بحر العلوم ، أبى الفتيان ، شيخ العرب ٠

١٤ ـ عدم اهتمامه بالدنيا كالجواسيس :

لم يكن فى سجل حياته مظهر واحد يدل على أنه كان يهتم بأمور الدنيا كما يصنع الجواسيس الذين يهدفون الى تحقيق هذه المظاهر بل وهو صبى لم يبلغ الرشد بعد يغلب الزهد على حاله فيلقبونه بالشيخ أحمـد الزاهد فهل عرف النـاس جاسوسا يشتهر أمره بالزهـد فى الدنيا ٠

١٥ ـ انطباع عاداته واخلاقه باحوال الولاية :

اشتهر السيد البدوى بعديد من العادات والأخلاق التى تكفى واحدة

منها لتجعل من صاحبها اماما يشار اليه . ومنطقيا ان عادات الانسان توضح اتجاهات تفكيره ، وتصرفاته توضح ما ينطوى عليه باطنه من خير أو شر .

وبالتنقيب فى عاداته وأخلاقه نجد أن نفسه الزكية انطوت على كل خير حتى انتفع الناس من حياته فكان جديرا بأن يتحدث عن ذلك لتلاميذه ويقول (أنا زيت من لا زيت له) حتى كثر أنصاره ومريدوه نتيجة لعاداته الحميدة .

١٦ ـ مبادئه ووصاياه لا تحض على الثورة والتآمر :

مبادئه ووصاياه كانت دستورا روحيا لتربية صوفية تفرعت منها فيما بعد أربع عشرة طريقة صوفية لها شأنها حتى اليوم .

١٧ ـ مؤلفاته تعتبر مراجع وأسانيد :

فهناك فى المكتبات الأوربية تحتل بعض مؤلفاته مكانها الجدير بين أهم المراجع فى باريس وبرلين وغيرها . كما أن دار الكتب بالقاهرة تحفل ببعض هذه المؤلفات .

١٨ ـ اشتهاره بتدريس الفقه والتصوف :

فكان يعقد بدار الشيخ ركين المجالس العلمية وبعد وفاة الشيخ ركين انتقل الى دار بن شحيط شيخ البلد ، وكان يدرس فيها فقه الامام الشافعى بجانب تدريس علوم التصوف .

١٩ ـ ادمانه على العبادة طول حياته :

فقد اتفق الرواة أنه كان يصوم بالنهار ويقوم بالليل ويداوم على قراءة القرآن حتى وصفته دائرة المعارف الاسلامية بأنه زعيم المتصوفة فى مصر وأكبر أوليائها .

٢٠ ـ قوة نفوذه بين الشعب والحكام :

فقد كان الحكام والشعب يخطبون وده ويصدقون عهده حتى صار المتصوفة بعده يتمتعون بهذا التكريم لهم الى أجيال متتابعة .

٢١ ـ شهرته بالزهد طول حياته :

فضلا عن ذلك فان الزهد كان يغلب على حاله منذ الطفولة حتى أطلقوا عليه وهو طفل وصف الزهد مقرونا بالمشيخة .

٢٢ ـ انعدام صلته التاريخية بالفاطميين :

لأن الدولة الفاطمية نشأت وانقرضت فى مصر حيث كان لم يولد بعد • وحين جاء مصر كان قد مضى سبعون عاما على وجود الدولة الأيوبية الجديدة • فهل يجوز أن يتجسس انسان لحساب دولة ليس له بها اتصال على اية صورة .

٢٣ ـ انعدام اى نشاط سياسى له فى حياته :

٢٤ ـ نسبه نسب أئمة لا جواسيس •

٢٥ ـ اقرار شيخ الاسلام فى عصره والأئمة من بعده • فهذا هو الشيخ ابن دقيق العيد شيخ العلماء الذى عاصره يختبر علمه ويمتحن ولايته فيقربهما ويعترف وليس هذا فقط بل سبقه الشيخ الدرينى فاقر له بالعمق فى العلم ورسوخ القدم فى الولاية • وهناك الشيخ علاء الدين قاضى قضاة طنطا اعترف وأقر بفضله • ويجىء الامام الجليل الشيخ الشعرانى يقول : ان شهرته فى جميع الأقطار تغنى عن تعريفه •

٢٦ ـ أسلوب تربيته على ثلاثة دعائم هى القرآن والسنة والأخلاق الفاضلة . فكانت تربيته روحية قويمة ليس فيها ما يحض على تعاليم التجسس أو الجاسوسية •

٢٧ ـ آثار تربيته فى أتباعه وتلاميذه آثار أولياء وليس ادل على ذلك كله من حياة تلاميذه نفسها التى كانت ولا تزال فى الناس شهادة طيبة كريمة لهذه التربية القويمة •

٢٨ ـ وقف حياته على انتشار دعوته • وكان حقيقا بان يوصف شأنه بقوله عن نفسه (من لم يكن فيه زيت فأنا زيته) اشارة الى مدده النورانى الذى يعين به من سلك طريقه •

٢٩ ـ درجته الصوفية ترفعه فوق مستوى الاتهامات فقد بلغت صوفيته درجة القطابة التى اقر بها الأعداء والمعارضون • ففى ص٤٦٩ من مجلدهم الأول يقولون (ويعتبر احمد البدوى منذ اجيال قطبا فيما يعرف بالقطابة) •

٣٠ ـ شهرته دليل ضد الجاسوسية لان المعروف أن الجاسوسية من شأنها التستر والاستخفاء للتمكن من الحصول على المقصود من ذلك وقد ربى فى الشهور الأولى حيث جاء طنطا اربعين تلميذا حملوا دعوته الى قراهم ومدنهم •

٣١ ـ تزاحم الملايين على زيارة مقامه والملايين لا تجمع على ضلالة

واهتمام الحكام من بعده بمسجده وآثاره فقد اعترفت دائرة المعارف الاسلامية فى مجلدها الأول صفحة ٤٦٨ وقالت بالحرف الواحد (فى عهد الحكم العثمانى يظهر أن الاحتفال بالبدوى فقد روعة مظاهره ولكن هذه النظم لم تستطع أن تحول دون تقديس المصريين له ٠ فهو أكبر أولياء مصر ٠ ومفرج كل الكروب منذ عهد طويل) ٠

٣٢ ـ تضلعه فى العلم والتصوف تضلع فلاسفة وأئمة فى عصره فيقولون عنه (هو بحر لا يدرك له قرار) بل هناك مكتبات الشرق والغرب تزدان بعدد من مؤلفاته مثل باريس وبرلين وليبزج وجوتا وتركيا كما أن أعداءه فى دائرة معارفهم وصفوه بأنه كان من فلاسفة التصوف الاسلامى وكثرة الأنصار من كل الطوائف تشهد امامته ٠ وفى صفحة ٤٧٠ بدائرة المعارف تؤكد ذلك بقولته المأثورة (سواقى تدور على البحر المحيط) ٠

٣٣ ـ اكتملت له كل أسباب الثورات ولم ينتهزها فعندما خلع الشعب الملك المستهتر الملك العادل وولى أخاه الصالح فى الشهور الأولى لحضور البدوى فضلا عن ارتباط تاريخه بمكر الظاهر بيبرس ودهائه٠ فضلا على عدم استقراره فى الاسكندرية برغم كثرة العلويين فلم يقبل الزعامة الصوفية خلفا للشيخ الواسطى ، وحينما حل بطنطا أصبحت تلقب ببلد شيخ العرب ٠

٣٤ ـ أقطاب الأولياء عاصروه وشهدوا له بالقطابة فالشيخ الشاذلى والشيخ الدسوقى والشيخ المرسى والشيخ القبارى والشيخ الشاطبى شهدوا للبدوى بالولاية الكبرى والقطابة العظمى ٠ كذلك اعتراف الأعداء له بالذكاء والنبوغ والفراسة ٠ وهذا يتفق مع معنى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم « اتقوا فراسة المؤمن فانه يرى بنور الله » كذلك اشتهار تفسيراته الصوفية فى محيط التصوف كالايمان والصبر والتوبة والذكر والزهد والوجد . وكانت أهليته العلمية ايجابية التأثير فى الناس واعترف بذلك الشيخ ابن دقيق العيد والشيخ الدرينى والشيخ علاء الدين والامام الشعرانى ودراسته الروحية كانت تنتشر بمقدرة خارقة حتى استطاع أن يحول النفوس من الحيوانية الى الانسانية الراقية .

٣٥ ـ فها هى ذى وصاياه لأتباعه فرائد فى التصوف ولا عجب فى ذلك فهو البدوى زيت من لا زيت له والذى ان نفد ماء سواقى الدنيا ما نفد ماء سواقيه ٠ ويكفى أنه لم تستطع سبعمائة عام نسيان الناس شخصيته ٠

موالد البـدوى

عندما علـم اتباع البـدوى ، ومريدوه بوفاته . حضروا الى طندتا للقيام بواجب العزاء . ولما كانت وفاة البدوى يوم الاحتفال بمولد النبى محمد صلى الله عليه وسلم فقد ارتبط احياء ذكرى وفاة البدوى بمولد النبى وسمى الحادث منذ ذلك اليوم مولدا .

ولكن هـذا المولد اخذ يتطور بمرور الزمن فاصبح له تاريخ خاص وانواع واهداف متعددة مما سنوضحه فيما بعد .

أنواع الموالد الاحمدية :

١ ـ المولد الكبير .
٢ ـ المولد الصغير .
٣ ـ المولد الرجبى .

وهو أكبر الموالد وأعظمها شأنا ويرجع حدوثه الى أن أتباع البدوى حضروا الى طنـدتا عنـدما علموا بوفاته للقيام بواجب العزاء ولما كانت البلدة لا تتسع لجموعهم فقد ضربوا خيامهم خارجها حيث يقام المولد الكبير كل سنة وقد بقى هؤلاء الأتباع بطنطا ثلاثة أيام ولما ارادوا الرحيل شيعهم عبد العال الأنصارى خليفة البدوى وعند ذلك قالوا له (هذه عادة مستمرة نحضر هنا كل سنة فى هذا الميعاد وان شاء الله الى ما شاء الله) واستمرت هذه العادة وكانت مدته ثلاثة ايام . وينتهى هذا المولد بحفل كبير فى آخر يوم منه حيث يخرج الخليفة لتوديع الاتباع كما كان يفعل عبد العال ويعرف هذا الحفل باسم ركبة الخليفة ويعتبر المولد الكبير اهمها اثرا وافخمها مظهرا واحفلها بالمشاهد والمواكب .

واذا ما تحدث النـــاس عن « مولد السيد » فانه يـكون المقصود بالحديث ولا تنصرف الأذهان الا اليه .

كيف أقيم المولد الكبير :

ويرى بعض الباحثين أن الفكرة فى اقامة المولد الكبير للسيد انما ترجع الى ما حدث بعـد مدة من الاحتفال بالمولد النبوى الشريف عنـد ضريحه .

ولما كان السيد قد توفى فى ١٣ من ربيع الأول كما مر بك وهو موعد الاحتفال بالمولد النبوى ، فان الدراويش والأتبـاع قد استغلوا هـذه المناسبة . وصاروا يحتفلون بمولد السـيد . ولكن الراجح فى ذلك ما حققه الباحثون وحكاه على مبـارك باشا اذ قال(١) : « وسمعت من بعض المشايخ فى أصل عمل المولد للسيد البدوى أن السيد لما توفى كان كثير من تلامذته متفرقين فى البلاد فلما سمعوا بوفاته حضروا بأتباعهم . ومن معهم الى طنطا ليعزوا فيه خليفته عبد العال . وكانت طنطا وقت ذاك صغيرة فلم تكن تتسع لكل هذه الجموع فضربوا خيامهم خارجها . واقاموا فى تلك الخيام ثلاثة ايام ، فلما أرادوا الرحيل شيعهم عبد العال وودعهم الى خـارج طنطا فلما كان العـام القابل حضروا للميعاد . ثم حضروا فى الذى بعده واستمرت هذه العادة فنشأ من ذلك المولد الكبير وكان فى الأصل ثلاثة أيام ثم زاد الى ثمانية أيام كما هو عليه الآن) . (٢)

وقد وضع الشيخ عبد العال لذلك المولد النظم والأوضـاع التى لا تزال سائدة جارية الى اليوم ، وان ما يجرى فى هذا المولد من ركبة الخليفة انما يرجع الى ما كان من ركوب الشيخ عبد العال مع جماعتـه لتوديع المريدين . والدراويش الوافدين لاحياء مولد السيد .

٢ ـ المولد الصغير :

هذا هو الشأن فى المولد الكبير ، أما المولد الصغير ويسمى بالوسيط أيضا ، وبالشرنبـلالى كذلك فانهم يقولون فى أصله أن أحـد الشـيوخ المنتمين للسيد ويسمى بالشيخ الشرنبلالى كان قد حضر مرة فى غير وقت المولد الى طنطا لزيارة السيد هو وتلامذته وجماعته . فأقام بهـا بعض ليال فكان يشغلها هو وجماعته بالأذكار والعبادات ثم اتخذ ذلك عادة سنوية ، وكان هذا منشأ ذلك المولد الصغير ، والذى يبدو لى أن

---

(١) على مبارك .

(٢) علم الدين : الجزء الاول .

هذا المولد قد أقيم على وجه العموم للأتباع والأهالى الذين هم من بلاد نائية . وكانت وسائل السفر لا تمكنهم من ادراك المولد الكبير . على أن كلوت بك يذكر موالد السيد فيقول(١) :

« انها ثلاثة:المولد الكبير ومولد سيدى عبد العال ومولد الرجبية » ويؤخذ من هذا أن المولد الصغير انما أقيم فى الأصل للشيخ عبد العال وانه كان يعرف بهذا الى زمن متأخر . ولكن شهرة السيد طغت عليه ، وصار يعتبر ضمن موالده ، ومن يكون الشيخ عبد العال لولا السيد البدوى ؟ وعلى أية حال فان هذا المولد يستمر ثمانية ايام كالمولد الكبير ولكنه لا يكون فى مثل فخامته وضخامته واقبال الناس عليه .

المولد الرجبى :

وأما المولد الرجبى ، ويسمى بمولد الزيارة ايضا فانه ليس بمنسوب الى شهر رجب كما هو الاعتقاد الشائع ، ولكنه ينسب الى رجل يسمى رجب العسيلى كان كبيرا للمحلة الكبرى ، وكانت المحلة وقت ذاك عاصمة الغربية ويقولون انه احضر كسوة وعمامة لضريح السيد ، وحضر بها فى موكب كبير ، وجعل من ذلك موعدا لزيارة السيد كل عام ووقف من أمواله على هذه الزيارة ، وجرت العادة بذلك وكان هذا هو الأصل للمولد الرجبى . ويجرى الاحتفال بهذا المولد فى نطاق ضيق ، فلا تضرب به سراداقات ولا يقصد اليه الا أرباب العوائد ، ويقتصرون على الاحتفال به فى المنازل ، كما يقتصرون على توزيع « الكعك والمنين والدقة » ولكنه يستمر كالمولدين السابقين ثمانية ايام .

تواريخ اقامة هذا المولد :

ان تواريخ اقامة هذه الموالد الثلاثة تسترعى نظر الباحثين فى تاريخ الاديان(١) ، ومن المرجح أن تكون تواريخ الموالد الأحمدية هى فى اصلها تواريخ أعياد الربيع والخريف عند عرب الجاهلية ، والحجة فى ذلك ان تواريخ تلك المولد تجرى على حساب السنة الشمسية . كما كان الشأن فى تواريخ تلك الأعياد والواقع ان كثيرا من المظاهر التى تبدو فى الموالد الاحمدية وغيرها انما ترجع الى أصول قديمة عريقة . وبخاصة ما كان سائدا فى أعياد قدماء المصريين كما سنشرحه بعد . ولكن هذه المسألة

---

(١) لمحة عامة الى مصر : كلوت بك .

(١) دائرة المعارف الاسلامية .

بالذات ـ أعنى تواريخ تلك الموالد ـ انما ترجع الى رعاية وقت الفراغ عند طبقات الشعب .

وقد كان هذا الفراغ لا يتحقق الا فى الفترات بين المواسم الزراعية حيث يكون الفلاح قد فرغ من حصاد محصوله ، وتيسر له من الفراغ المال . ومن المعروف ان المواسم الزراعية انما تجرى على التاريخ الشمسى وفى هذا يقول على مبارك باشا(١) :

« وقد قررت مواعيد هذه الموالد باعتبار الشهور القبطية لا العربية لكيلا يتغير ميعاد كل منها عن وقته من فصول السنة رعاية لأوقات النيل والرى ، حتى لا يقع المولد فى وقت قلة الماء بتلك الجهة أو كثرتها وانغمار الأراضى به للرى ، ولمثل هذه الأسباب قدمت واخرت مواعيدها فى بعض الاوقات بتنبيهات من الحكومة . رعاية لمقتضيات المصالح والأحوال » .

هذا وقد اصبحت مواعيد الموالد الأحمدية تحدد على حسب الظروف القائمة اذ تجتمع كذلك لجنة رسمية فى مدينة طنطا ، وبعد أن تتخذ قرارها فى هذا الشأن تبلغه الى الجهة المختصة فى الحكومة ، وهذه تصرح اقامة المولد فى الموعد المحدد رسميا . الا اذا كان هناك مرض منتشر يخشى استفحال الخطر به وتفشى العدوى من تجمهر الناس فيه فانها اذ ذاك تؤجله حتى تسمح الظروف (٢) .

تطور الموالد الأحمدية :

حدث بالموالد الثلاثة السابقة تغييرا واضحا وكان ذلك نتيجة محتومة لتطور الحياة الاجتماعية لأن الموالد بمضى الزمن صارت أسواقا تجارية يجب أن تتفق أوقاتها مع مواسم الانتاج الزراعى وانظمة الرى وخاصة أن معظم الزوار من طبقة الفلاحين .

ففى المولد الكبير :

رئى أن يكون فى نهاية الموسم الصيفى للزراعة وعلى ذلك تغير ميعاده الى شهر اكتوبر من كل عام . وتعلن بدء هذا المولد وزارة الأوقاف التى تراعى فى تحديده التأكد من جنى المحصول الصيفى وخاصة القطن ليتمكن الفلاحون من الحضور الى المولد .

---

(١) على مبارك باشا .
(٢) النفحات الأحمدية .

اما المولد الصغير :

فقد راى المسئولون ان موعده يونيو وقت مقاومة دودة القطن ولذلك رئى الغاؤه .

مولد الرجبية :

كذلك تغير موعده من شهر رجب الى ابريل من كل عام .

وصف ما يجرى فى الموالد الاحمدية

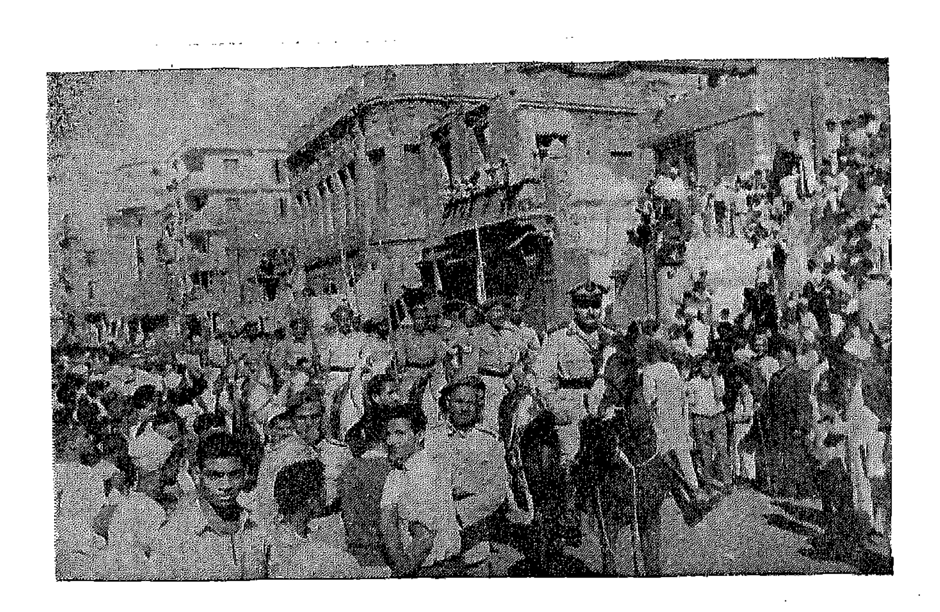
والآن ننتقل بك الى وصف ما يجرى فى الموالد الاحمدية من المواكب والمحافل.وان اظهر ما يجرى فى ذلك هو ما يكون فى المولد الكبير من المظاهرات والاحتفالات ثم ما يكون من ركبة الحاكم وركبة الخليفة . ومشاركة الحكومة والشعب فى احياء تلك المظاهر التى يحسبونها قربى **لأبى فراج قطب الأقطاب ، واحسب أن ليس فى مصر من لم ير تلك المواكب** او على الأقل لم يسمع بما يكون من جلبتها واحتشاد الناس لها . واهتمام الحكومة بها كل عام .

اليوم الأول للمولد :

اذا ما صدر التصريح باقامة المولد الأحمدى الكبير . اعلن ذلك فى جميع البلاد ، وتوافد الناس من شتى الجهات فى الموعد المحدد . نيقيمون الخيام . ويضربون السرادقات فى ساحة المولد ، ويرضى اصحاب العوائد بدفع اى أجر يطلب منهم المالكون للأرض لاقامة خيامهم عليها .

وتقام الخيام والسرادقات الخاصة بأهل الريف حول ساحة المولد وفى ضواحى سيجر وكفر الشيخ سليم وما اليهما من القرى . واما الخيام والسرادقات الخاصة بالحكومة وشيوخ الطرق وارباب العوائد فانها تقام فى الساحة وتسمى هذه البقعة بالسحابة . وبالقرب من الساحة تقام سارية خشبية عالية تسمى بالصارى .

وقد بلغت الخيام المضروبة هذا العام فى هذه المنطقة حوالى ٣١٢ خيمة وفى الأحياء القبلية ما يقرب من ١٥٠ خيمة . ويقال : ان عدد الخيام التى تضرب يقل عن آخر نسبة الى زيادة العمران فى هذه المنطقة الأمر الذى جعل كثيرا من الزوار يؤجرون حجرات فى مساكن الأحياء القبلية .



ركبة الحاكم عند افتتـــاح المولد



ركبة الحـــاكم :

وفى اليـــوم الأول للمولد يطوف مامور البوليس بطنطا فى موكب من الجنود معلنا افتتاح المولد ويسمى هذا الموكب بركبة الحاكم .

الصـــارى :

بالقرب من الساحة تقام ســارية خشبية عالية تسمى الصــارى . وللناس فيه عقائد عجيبة مريبــة ، فبينما يعتقد بعضهم ان زيارة هــذه الخشبة تعادل زيارة السيد البدوى نفسه اذ يعتقد آخرون ان السيد يجلس فوقها أيام المولد ليشرف عــلى زواره ويتعرف عليهـم . ويجزم الكثيرون بأن النبى صلوات الله عليه يزور هذه الخشبة فجر يوم الاثنين قياما بواجب السيد البدوى عليه(١) ويشتد الزحام حول الصارى ليلة الأثنين من أيام المولد ، كما يشتد الزحام فى ساحة المولد وفى سرادقاته ويكثر تقــــديم الأطعمة ونحر الذبائح اذ يعتقد العامة ان النبى صلى الله عليه وسلم يحضر فى هذه الليلة لزيارة السيد البدوى ويطوف بالصارى وفى هذه الليلة يكثرون من حرق البخور ونشر الروائح الطيبة ، فاذا ما تبدى الفجر ارتفعت الأصوات بالتهليل واطلقت النساء الزغاريد .

استقبال الشناوية :

وفى يوم الأربعــاء من أسبوع المولد يركب الخليفــة فى موكب من الطوائف الأحمــدية . ويخرج الى قنطرة سمنود ، حيث كان مدخــل مدينة طنطا قديما .

فيستقبل طائفة الشناوية من اتبــاع الشيخ الشناوى الذى ولى الخلافة الأحمدية من قبل . ويفد هؤلاء الشناوية فى موكبهم ويقصدون الى ضريح السيد البدوى فيطوفون به طواف القدوم على نحو ما يفعل القاصدون لحج بيت الله الحرام . ويقولون ان هذه كانت سنة الشيخ عبد العال الخليفة الأول فى استقبالهم . وفى وداعهم حين وفدوا للعزاء فى السيد .

وهناك عادة قديمة تجرى الى هذا اليوم . اذ كان اهالى شبرا بابل من قرى مركز المحلة الكبرى . يفدون فى ذلك الوقت وهم يحملون كمية كبيرة جدا من السمك ، فيذهبون بها الى دار الخليفة ثم يأخذون فى مقابلها ثورا ويذبحونه فى داره ليأكلوه . أما الآن فلم يعد أهالى شبرا بابل

---

(١) هذه هى افكار العامة .

الا سواهم يجلبون شيئا من السمك واما العادة بذبح الثور فلا تزال قائمة .

ولكن يؤخذ هــذا الثور من مال وزارة الأوقاف ويذبح بحضـــور مندوبها .

الليلة الختامية :

وفى يوم الخميس يبلغ المولد غايته من الزحام استعدادا لاحيـــاء الليلة الختامية التى هى ليلة الجمعة . وتبدو الخيام والسرادقات فى أبهى ما تكون زخرفة وزينة ، وتسطع الأنوار الكهربية فى الســـاحة كأشد مايجب . وفى هذه الليلة يقدم وزير الأوقاف ومعه بعض رجال الحكومة لشهود تلك الليلة . وتقيم محافظة طنطا بهـــذه المناسبة حفلة عشـاء فاخرة وتمضى الليلة وكأنها مهرجان ضخم ، حتى اذا ما انتهت على خير ما يرجو محبوها ومحبوها أن تنتهى عليه اذ بالفلاحين يقوضون خيامهم. والفراشين يجمعون فرشهم والزائرين يشـــدون رحالهم ولكنهم جميعا ينتظرون بالرحيل حتى يتمتعوا بمشاهدة ركبة الخليفة .

ركبـــة الخليفة

تبدأ ركبة الخليفة يوم الجمعة الذى هو نهـــاية أيام المولد فيخرج صوفية بندر طنطا بأعلامهم وطبولهم الى دار الخليفة ، فيخرج معهم فى حشد من العامة ويسير موكب الخليفة على هذه الصورة التى قـدمناها حتى ينتهى الى مســـجد الشـــيخ البهى ، وهو أحد شيوخ الشاذلية من العلماء وفى هـــذا المسـجد يؤدى الخليفة وأعوانه فريضة الجمعة ثم يستأنف الموكب السير الى مقام البدوى . وهناك يضع الخليفة عمامة البدوى على رأسه ويلفها بيديه على رأسه ثم يغطى وجهه بلثام على نحو ما كان يصنع السيد . ثم يلبس بشتا من الصوف الأحمر كان يلبسه الشيخ عبد العال فاذا ما أتم الخليفة لبسه قرأ الجميع الفاتحة داخـــل القبة الأحمـــدية بصوت عال مرتفع . ثم يركب الخليفة ركبته فيخرج الموكب تتقدمه قـــوة من الجيش والبوليس ثم طوائف الصوفيـــة ثم حضرة الخليفة فى بشت عبـد العال وقمصانه وعمامة السيد البـدوى وهنا يتفرق الجمع الحاشد ويقول الناس قولتهم المشهورة «ركب الخليفة وانفض المولد » .

ويعرف خروج الخليفة بالزفة . وكثير من الرواد لا يحضرون المولد بأكمله بل يفضـــلون الزيارة فى اليوم الأخـــير . حتى يشـــاهدوا موكب الخليفة .



الخليفة بملابس السيد البدوى فى الليلة الكبيرة



وكان لخلفاء البدوى منزلة كبيرة عند سـلاطين المماليك • فكانوا يسيرون فى مواكبهم جنبا الى جنب مع كبـار رجال الدولة والقضاة والعلماء الا أنه فى عهد الحكم التركى والفتح العثمانى فقدوا كثيرا من سلطتهم ورهبتهم نظرا للأنظمة الصارمة التى وضعها الأتراك وظل هذا المركز وهذه السلطة فى التناقص مع تغلغل هذا الحكم حتى لم يصبح لهم غير الاسم والمظهر وركبة الخليفة السنوية •

رواد المولد

للسيد البـدوى أتبـاع ومريدون واحباب يحرصون كل الحرص على زيارة مولده ويفوق هؤلاء الزوار الحجاج الذين يفـدون الى مكة من جميع أرجاء العالم الاسلامى كل عام(١) •

ولم يكن المولد بهذا الاتساع وبهؤلاء الرواد عند نشـأته وأوائل عمرانه بل انه وجد معارضة ورد فعل سـواء بين العلماء ورجال الدين الذين ناهضوا الصوفية ودراويشها أو رجال الحكم والسـلاطين الذين وجدوا فى مريدى السيد وأتباعه منازعين لهم فى السيادة على الطبقات الشعبية وأدى ذلك الى اهمال بالمولد عدة سنوات فى عهـد الخليفتـين الأولين(٢) ولكن حب الناس للبدوى وضغط أتباعه ومريديه أدى لاعادته ثانية سنة ٥٨٠ هـ وظل الاحتفال به عادة مرعية حتى يومنا هذا الا فى فترات محدودة لأسباب حربية أو صحية •

ان للسيد البدوى شـهرة كبيرة ومنزلة عظيمة فى قلوب المواطنين جميعا يأتى له الناس من كل فج يلتمسون البركات والنفحات وقضـاء الحاجات ولكل هدف وغاية فى زيارة مولده فمنهم من أتى للتجارةوالبعض للترفيه عن أنفسهم من عناء العمل وقسوة الحياة ومشاكلها • وآخرون يعتبرون هذه الزيارة عادة واجبة الأداء لزيارة الضريح وتقديم النـذور له والقرابين ويحضر المولد ما يزيد عن مليون نسمة هذا العـدد الكبير يأتى من كل بلد قريبة وبعيدة عن طنطا • وهؤلاء الرواد يمثل الريفيون أغلبية منهم ورواد المولد يحضرون اليه تحت ضغط ودوافع مختلفة منها :

١ ـ عادة : يعتقد عامة الرواد أن زيارة المولد أصبحت عندهم عادة لكثرة حضورهم من قبل • وبعضهم يعتقـدون أنهم سيصابون بالبـلاء والشر لو تخلفوا عن هـذه العـادة وأن الخـير والكسب سيلحقهم لو واظبوا عليها •

---

(١) المصريون المحدثون فى القرن التاسع عشر ص ١٧٠ •

(٢) دائرة المعارف الاسلامية •

٢ ــ الوفاء بنــذر : يحضر بعض الرواد للوفاء بنذر عليهم وأغلب مقدمي النذور من الغرباء عن طنطا فيوزعون الأطعمة والمشروبات بل ان البعض ينذر نفسه لخدمة رواد المولد كان يقوم بسـقيهم رغبة فى وفرة المحصول أو كسب قضية أو طلب طول العمر ٠

٣ ــ **البر والخير** : ويأتى البعض وقــد حملوا معهم الطعام والزاد فى صناديق وزكائب وتنحر الذبائح رغبة فى الاحسـان غير المشروط وهذا ما يميزه عن النذور ٠

٤ ــ **الترويح والترفيه** : يحضر أغلب رواد المولد للترويح والتسلية وتغيير أسلوب الحياة فتجـد القروى الذى يأتى للمولد وكل همه رؤية السينما والمسرح والألعاب المختلفة والمعارض المتعددة والزينات والأنوار الـكهربية ٠

٥ ــ **الحصول على مكسب** : ويحضر عـدد كبير من الرواد ابتغاء للكسب فيزاولون أعمال بيع الأطعمة والحمص ومختلف لوازم الرواد ٠

وكذلك البعض يزاولون الحرف الترفيهية فى المسارح والسراكى والمقاهى وهناك الباعة الجوالون الذين يبيعون الأشياء التى تجـذب الفلاحين من لعب ومحافظ وطواقى وغير ذلك من الأشياءوالاستفتاءالآتى يوضح أسباب حضور الرواد الى المولد :

واذا اردنا معرفة عدد رواد المولد بصـورة تقريبيـة وجب اللجـوء الى احصاءات وسائل المواصلات المختلفة القادمة الى طنطا خلال أسبوع المولد مع عدم اغفال الحاضرين عن القرى القريبة راجلين أو فوق دوابهم وعرباتهم ٠

التاريخ	عدد التذاكر	التاريخ	عدد التذاكر	التاريخ	عدد التذاكر
٦١/١٠/١٠	٤٦٨٥	٦٢/١٠/١٠	١٦٣٥	٦٣/١٠/١٠	٦٥٠٠
١٠/١١	٥٣٦٤	١٠/١١	٩٢١٣	١٠/١١	٧٠٠٠
١٠/١٢	٦٢٥٨	١٠/١٢	١٠٠١٢	١٠/١٢	٩٥٠٠
١٠/١٣	٨٣٥٩	١٠/١٣	١٨٩٧٥	١٠/١٣	١٢٠٠٠
١٠/١٤	١١٤٤٧	١٠/١٤	١٥٦٥٢	١٠/١٤	٢٤٥٠٠
١٠/١٥	١٣٦٣٦	١٠/١٥	٢٠٧٣٨	١٠/١٥	٣٢٠٠٠
١٠/١٦	١٨٤٣٩	١٠/١٦	١٩٢٤٦	١٠/١٦	٣١٧٤٠
١٠/١٧	٥٨٥٨	١٠/١٧	١٢١٢٩	١٠/١٧	١٢٨٩٠
١٠/١٨	٢٦٧٤	١٠/١٨	٥٦٩٠	١٠/١٨	٢٥٩٨٠
الجملة	٧٦٧٢٠		١١٧٨٧٥		١٥٢١١٠

المصدر قسم الحركة محطة طنطا .

ويظهر من هذه الاحصائية أن الزوار القادمين بالسكك الحديدية يبلغ عددهم حوالى ١٥٢١١٠ تقريبا مع ملاحظة اضطراد الزيارة فى عددهم عاما بعد عام . وهذا العدد خلاف القادمين باشتراكات وبدون تذاكر وفوق أسطح القطارات فاذا تركنا الرواد القادمين بالقطارات للقادمين عن طريق شركات النقل البرى لوجدنا أن شركة خطوط أتوبيس الغربية تنقل الى طنطا فى أسبوع المولد ١١١ر٢٥٢ نسمة تقريبا على حسب الاحصاء التالى :

هذا الاحصاء من ادارة شركة اتوبيس الغربية

التاريخ	عدد الركاب
١٩٦٣/١٠/١٠	٢٢٦٨٦
١٠/١١	٢٥١٧٤
١٠/١٢	٢٢٣٩٥
١٠/١٣	٢٦٥٣٥
١٠/١٤	٢٦٨٤٨
١٠/١٥	٣٠٦٧٣
١٠/١٦	٣٦٦٦٣
١٠/١٧	٣٦٣٥٤
١٠/١٨	٨٤٧٥٣
المجموع	٢٥٢١١١ نسمة

من هذا نرى أن شركة الأتوبيس تنقل الى المولد ضعف ما تنقله السكك الحديدية تقريبا . وذلك لمرور خطوطها على كثير من القرى والبلدان . وان عدد الركاب يبلغ أقصاه فى اليوم الأخير للمولد حيث يحضر عدد ضخم لمشاهدة ركبة الخليفة وحضور صلاة الجمعة بالمسجد الأحمدى .

فاذا اضفنا الى ذلك أن بالغربية ٥٥٠ عربة أجرة وأن نصف سكان طنطا البالغ عددهم على حسب احصاء سنة ١٩٦٠ هو ١٣٩ر٩٢٦ نسمة يزورون المولد نجد أن عدد رواد المولد حوالى ٠٠٠ر٠٠٠ر١ نسمة تقريبا .

« تجارة الحمص »

وهناك ظاهرة شائعة بين العامة ، وهى أن كل زائر لمدينة طنطا يلزمه شراء الحمص والحلوى وتوزيعه على احبائه وجيرانه .

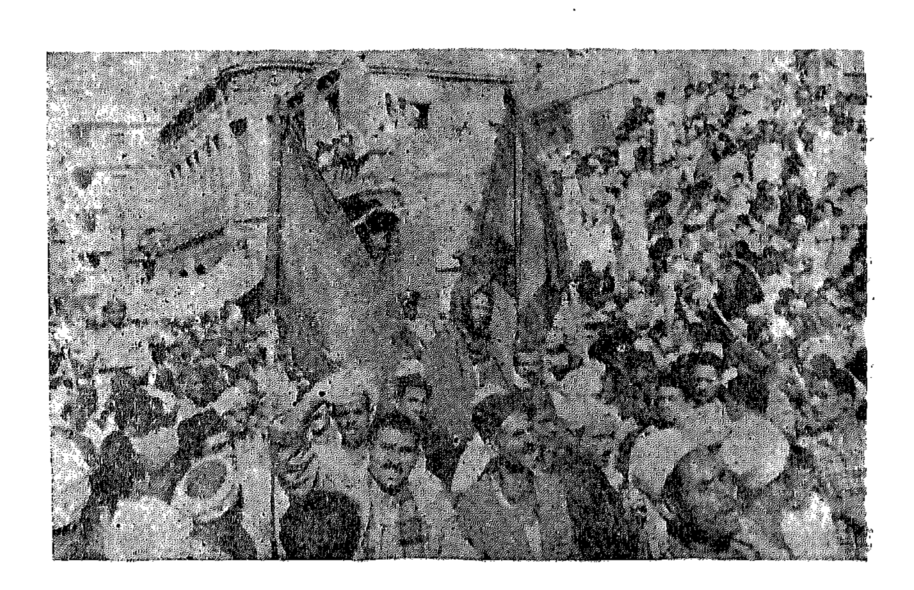
واذا زرت المدينة تجد محال بيع الحمص منتشرة فيها . وتتشابه هذه المحال فى طريقة العرض ووسائل بيعه ؛ فيضعه التجار فوق مصطبة على شكل هرمى مصفوف فوقه قطع الحلوى البيضاء والملونة . وبجانبه سلال صغيرة من سعف النخيل لتعبئته فيها .

وترجع شهرة الحمص الى انه كان من النباتات المقدسة عند قدماء المصريين فقد حرصوا على أكله كنبات أخضر فى مناسبات معينة . كما نفعل نحن حاليا فى عيد شم النسيم .

وتتفق الآراء على أن سبب شهرة الحمص فى المولد راجعة الى أن الزوار فى بدء نشأته اتخذوه كدليل يحملونه الى بلادهم ليثبت زيارتهم للمولد ومن هنا جاء قولهم « طلع من المولد بلا حمص » انه زار المولد ولم يحضر أهم شىء فيه وقد أصبح هذا المثل عاما . واستعمل فى نواحى أخرى من الحياة الاجتماعية حيث يطلق على الفرد الذى يذهب الى مكان ما أو يقوم بعمل معين دون أن يجنى فائدة أو كسبا .

الطرق الصوفية الأحمدية

التصوف كلمة تدل على تهذيب النفس والسمو بها والزهد والتقشف والبعد عن ملاذ الدنيا ، والعمل لله والآخرة والصوم والتعبد ومناجاة الذات الالهية والتفانى فى حبها وتعذيب النفس والبدن وقد يصل ذلك الى عدم الزواج ولبس الملابس الخشنة والخرق البالية والبكاء .



احـــدى الطرق الصـــوفية فى المـــولد



ويذكر البعض أن التصوف غير الفقر ٠ وغير الزهد ٠ ولكنه فى الحقيقية يشملهما بمعنى أن التصوف يستلزم الفقر والزهد فى الحياة الدنيا بأن ما يقوله البعض من أن التصوف الاسلامى أخذ عن دين معين يدل على عدم تبحرهم فى الاسلام ٠ أو دراستهم لمبادئه دراسة وافية ٠

هذه الحياة الروحية التصوفية تكون مطبوعة بالزهد خاضعة لسلطان الحزن والبكاء ٠

وقد كان التصوف الاسلامى فى بدء نشأته قائم على أسس علمية فلسفية ٠ فكان أئمة المتصوفة أمثال الغزالى وغيره علماء باحثين قبل أن يكونوا متصوفين ٠ فبحثوا فى التصوف بحثا فلسفيا قائما على المنطق والاقناع وكتبوا فيه الكتب والبحوث وبجانب هؤلاء قام متصوفون ونزلوا الى ميادين الجماعات والشعوب وخبروا نفوسها فجمعوا حولهم الأتباع والأنصار والمريدين والدراويش وأنشئوا طرقا صوفية ٠ ونما هذا النوع نموا كبيرا فى القرنين الثالث والرابع الهجرى فظهرت الطرق والطوائف التى تخضع كل طريقة منها لنظم خاصة بها ٠

وكان قوام الطرق الصوفية طائفة من المريدين يلتفون حول شيخهم يرشدهم ويبصرهم بأمور دينهم وطريقتهم وقد أنشأ السيد البدوى طريقة صوفية جديدة هى الطريقة الأحمدية فهو من هذه الناحية يعتبر امتدادا لهؤلاء الأئمة الأول من رواد الطرق الصوفية ٠

وقد انتشرت طريقته وعمت وتفرعت ٠ غير أننا نجد أن السيد البدوى فى حياته كان من عشاق الطريقة الرفاعية نسبة الى أحمد بن أبى الحسن الرفاعى الذى كان له تمرين المريدين بالبطائح بالعراق وتتلمذ على يديه طائفة صالحة من المريدين هذه الطريقة الرفاعية تنزه الله فى ذاته وصفاته وتوحيده والتبرؤ من الزيف والبدعة واتباع أمر النبى صلى الله عليه وسلم والعمل بما كان عليه هو وأصحابه الكرام ٠

وعلى هدى هذه الطريقة الرفاعية ومبادئها أنشأ البدوى طريقته الصوفية الجديدة التى تتميز بلبس الخرق الحمراء ، وحمل الأعلام الحمراء اقتداء بالرسول عليه السلام ٠ حيث روى أنه كان يلبس حلة حمراء فى أيام الجمع والأعياد ٠

ان هذه الطريقة كما يقول البدوى قامت طبقا لتعاليم ومبادىء القرآن الكريم والسنة النبوية « هذه طريقتنا مبنية على الكتاب والسنة والصدق والصفاء وحسن الوفاء وحمل الأذى وحفظ العهود » ٠ وهى طريقة ديمقراطية من حيث مراعاة الشيخ لمريديه وتلقينهم جميعا الدين والسنة دون تفرقة واهمال ووضع البدوى فى الطريقة عهدا يسير على هداه

المريد ذكره لخليفته عبد العال يقول فيه أن يبتعد المريد عن حب الدنيا فانه يفسد العمل الصالح • وأن يشفق على اليتيم ويكسى العريان ويطعم الجوعان ويكرم الغريب ويكثر من الذكر ويطيل الصلاة بالليل والنهار ، ولا يشمت في مصيبة أحد ، ولا يؤذى من يؤذيه ، ويعفو عمن ظلمه ويعطى من حرمه • وقد انتشرت هذه الطريقة الأحمدية انتشارا كبيرا وعمت أرجاء البلاد واصبح لها مشايخ ومريدون يعدون بمئات الألوف وهبوا أنفسهم لخدمة طريقتهم ونشرها والدفاع عنها • ومزاولة مبادئها والسير على هداها وتعاليمها وقد تفرعت هذه الطريقة تفرعا كبيرا واتخذت أسماء متعددة . منها المشهور المغمور والضيقة النطاق تبع عدد مريديها ومواردها •

الطريقة الأحمدية :

وقد انتشرت مبادىء البدوى وآراؤه على أيدى السطوحية(١) أتباعه الأوائل • وتلامذته الذين سارعوا الى نصرته واعتناق مذهبه فى التصوف منذ هبط طندتا (طنطا) •

ولما كثر أتباع البدوى انتشروا فى أرض مصر تحت زعامة السطوحية وعرفوا بالأحمدية • وكانوا يعدون بالألوف • ويمثلون طائفة من طوائف المجتمع المصرى فى عهد المماليك والعصر العثمانى • وكانت ألفاظهم وتعابيرهم الصوفية مصرية بحتة . وذلك لأن الأحمدية طال عهدهم بصحبة الفقراء فى وادى النيل(٢) •

وقد قامت الطريقة الأحمدية طبقا لمبادىء القرآن وتعاليم السنة ويصف البدوى ذلك لعبد العال فيقول (هذه طريقتنا مبنية على الكتاب والسنة ، والصدق والصفاء ، وحسن الوفاء ، وحمل الأذى ، وحفظ العهود) •

وكانت الرابطة بين البدوى ومريديه قائمة على عهد صوفى خلقى اجتماعى • يقطعه المريد على نفسه اذا أراد الانتظام فى سلك الطريقة الأحمدية وتتلخص نصوص هذا العهد فيما ذكره البدوى لعبد العال من وصايا يسير على هديها المريدون والأتباع منها :

يا عبد العال اياك وحب الدنيا ، فانه يفسد العمل الصالح وأعلم بأن الله قال فى كتابه : (ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) •

---

(١) سموا كذلك لجلوسهم على السطح .

(٢) التصوف الاسلامى : ج ١ ص ٧٩ .

يا عبد العــــال : عليك بكثرة الذكر • واياك أن تكون من الغافلين عن الله وأعلم أن كل ركعة بالليل أفضل من ألف ركعة بالنهار •

يا عبد العال : اشفق على اليتيم ، واكس العريان ، وأطعم الجوعان وأكرم الغريب والضيفان • عسى أن تكون عند الله من المقبولين •

يا عبد العال أوصيك ألا تشمت بمصيبة أحد من خلق الله ولا تنطق بغيبة ولا نميمة • ولا تؤذ من يؤذيك • واعف عمن ظلمك وأحســـن الى من أساء اليك • وأعط من حرمك •

ولا تزال آثار تلك الوصايا قائمة بين الناس حتى اليوم وخاصـــة ما امتازت به من روح التواضع وعدم التكلف • الأمر الذى يدل عليه المثل السائر : (خل البساط أحمدى) •

وكان البـــدوى يتبع فى تعليم تلاميذه ومريديه طريقة ديمقراطية واضحة تتفق مع مبادىء الاسلام الحنيف من حيث الاخلاص فى التدريس وتغذية الجسم تغذية روحية •

وتظهر تلك الطريقة فى احدى وصايا البدوى الشهيرة لعبد العال ففيها يقول(١) :

« ان الفقراء كالزيتون فيهم الكبير والصغير ، ومن لم يكن فيه زيت فأنا زيته . يعنى من كان صـــادقا فى فقره صافيا كالزيت الصافى عاملا بالكتاب والسنة فأنا مساعده فى جميع أموره وقضاء حوائجه الدنيوية والأخروية • لا بحولى ولا بقوتى بل ببركة النبى صلى الله عليه وسلم •

ويشير مؤلفو دائرة المعارف الاسلامية الى هذه التوصية بشكل آخر فيقولون « ان الفقراء كأشجار الزيتون بعضها كبـــير وبعضها ضعيف ممن لا زيت فيه فأنا زيته »(٢) •

وكان شعار الأحمدية الملابس الحمر (الخرقة الحمراء) اتخـذوها عن أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه كانت له حلة حمراء ولأنه (قدم لواء بنى سليم يوم فتح مكة على بقية الألوية وكان أحمر) (٣) •

وكذلك كان اللون الأحمر شعارا لبعض الفرق الفلسفية فى الاسلام من غير المتصوفة .

---

(١) الجواهر : ص ٥٦ •
(٢) المجلد الاول ص ٤٦٨ •
(٣) الجواهر : ص ١٥ •

وقد كان للأحمدية علم أحمر لا يحمله الا من توافرت فيه شروط خاصة تدل على عناية الأحمدية بأمور الدين والأخلاق ومنها : ألا يكذب ولا يأتى بفاحشة • غاض البصر عن المحارم • طاهر الذيل • عفيف النفس • خائفا من الله • عاملا بكتابه • ملازما للذكر • دائم التفكير. وعن الطريقة الأحمدية نشأت عدة طرق كالشعيبية ، والبيدمية .

وقد بلغت الفرق المتشعبة عن الأحمدية نحو أربع عشرة فرقة كانت كل منها نواة لجماعات صوفية كثيرة لا يزال بعضها باقيا الى اليوم ويمكن تقسيمها الى ثلاث فئات :

الطرق الأحمدية الكبرى :

وهى أكثر الطرق الأحمدية انتشارا وأتباعا ومؤسسوها أخذوا العهد مباشرة على يد السيد البدوى نفسه • ومن هذه الطرق الطريقة الأحمدية المنايفة ، المنسوبة للسيد / رمضان الأشعت المنوفى والطريقة الكناسية نسبة للسيد / محمد الكناس القائم على زاوية السيد البدوى والطريقة الاسلامية الأحمدية نسبة للسيد / عبد السلام والطريقة الامبابية الأحمدية نسبة للسيد / يوسف الأمبابى • وغيرها من الطرق الرئيسية •

الطرق الأحمدية الصغرى :

وهى أقل من السابقة انتشارا وأتباعا وموارد ، ومنها : الطريقة الشعيبية الأحمدية نسبة للسيد / شعيب . والطريقة الحمودية الأحمدية المنسوبة للسيد / حموده • والطريقة الزاهدية الأحمدية نسبة للسيد/ محمد الزاهد والطريقة الأحمدية السطوحية والأحمدية الحلبية والشناوية وغيرها •

الطرق الأحمدية المتفرعة :

وهى كثيرة العدد وتعتبر فروعا للطرق السابقة الكبرى والصغرى • فالطريقة الواحدة من الطرق الكبرى ولنأخذ مثلا الطريقة الأحمدية المنايفة تفرع عنها طرق عدة منها طريقة الرعاة الأحمدية المنايفة • نسبة للسيد عبد العظيم الراعى الذى أخذ العهد على يد سيدى رمضان الأشعت المنوفى مؤسس الطريقة الأحمدية المنوفية الكبرى • وكذلك الطريقة الفاتحية الأحمدية المنايفة نسبة للسيد / عمر غانم الذى أخذ العهد على يدى رمضان المنوفى أيضا • ومن الملاحظ أن هذه الطرق الفرعية قليلة الأتباع وهناك سبب هام أدى الى هذه الكثرة وهذا التفرع فى الطريقة الأحمدية الأصلية • وهذا السبب مظهره دينى

وباطنه عائلى اجتماعى • فقد كان السيد البدوى يرسل رسلا من تلاميذه الى عشائرهم وقراهم يحملون لهم تعاليمه وكان كل رسول يكيف الدعوة البدوية على حسب مفهومه لها • ونظرت كل جماعة الى هـذا المبعوث على أنه شيخها وزعيمها الروحى والدينى وهو شيخ الطريقة الأحمدية ومنـدوبها فى جماعته وبمرور الوقت قرن اسم كل مبعوث بالطريقة وأصبح يقال مثلا الطريقة الشناوية الأحمـدية نسبة للشيخ الشناوى وأخذت هذه الطريقة الجديدة أيضا تتفرع تبعا لتعدد الرؤساء فى كل طريقة منها واتخاذ كل منهم اتجاها خاصا به وأسلوبا ومبادىء جديدة لأتباعه وحتى نستطيع رؤية الطريقة الصوفية الأحمدية على حقيقتها ، اتجهت الى دراسة احدى طرقها الكبرى ذات الأتباع والموارد الكبيرة والمركز المرموق وهذه الطريقة هى :

الطريقة الأحمدية المنايفة :

تنسب هـذه الطريقة لمؤسسها السيد / رمضان الأشعث المنوفى وهو قرشى من مكة ، هاجرت أسرته الى المغرب لاضطهاد الأشراف فى ذلك الوقت على يدى الحجاج بن يوسف الثقفى – وقد ولد السيد رمضان بالزاوية الحمراء بجوار مدينـة فاس بالمغرب ، وحفظ القرآن ، ونبـغ فى الفقه ، وقد أخذ العهد على يد السيد البـدوى نفسه • وطريقته اقرب الطرق الصوفية للطريقة الأحمدية الأصلية • والخلافة فى هـذه الطريقة وراثية منـذ نشـأت • وشيخ الطريقة الحـالى هو الشيخ على المنوفى وعمره ٧٨ عاما • وهو عضو بالمجلس الأعلى سابقا ومفتش وصاحب مدارس الأحمدية بطنطا سابقا •

مجلس الطريقة :

ويمتاز بالعمامة الحمراء ، ولم علم أحمر مكتوب عليه « لا اله الا الله محمد رسول الله » • ويتكون المجلس من شيخه رئيسا وبعض مشـايخ العائلات الداخلة فى الطريقة ويجتمع هذا المجلس على حسب المناسبات التى تهم الطريقة كخروج أحد كبراء الطريقة على العهد أو اتيانه أفعـالا غير مناسبة فيجتمع المجلس ويقرر مجازاته اما بالوقف أو الفصـل من الطرق الصوفية عامة • اذا ثبتت ادانته • وتعمل نشرة باجتماع المجلس توزع على الأعضاء فى جميع أنحاء البلاد • وكذلك على مشايخ الطـرق الصوفية الأخرى حتى لا يلجأ العضو الى احداها وينصب شيخ الطريقـة بحفل رسمى فى سراى الخرنفش بالقاهرة •

موالد شيوخ الطريقة :

ولشيوخ هذه الطريقة منابر خاصة وموالد تقام لبعضهم سنويا كمولد سيدى رمضان الأشعت المنوفى مؤسس الطريقة اذ ان له مولدا يبدأ يوم ٢٢ من أغسطس وينتهى فى ١٩ منه كل عام ٠

موارد الطريقة :

ولهذه الطريقة موارد ثابتة تصرفها الحكومة سنويا وتقيد بميزانية الدولة ٠ وهى موقوفة ومربوطة على الطريقة من زمن طويل ٠ وتصرف الآن نقدا بوساطة وزارة الخزانة وهى :

عدد	
٧	قناطير بقسماط
½	قنطار زيت طيب
١	قنطار جبن
١	قنطار بصل

وتصرف هذه الكميات بمعرفة كبار التجار ويصرف ثمنها لشيخ الطريقة . وقد كان لها مورد آخر عبارة عن قمح ومواش موقوفة على الطريقة من زمن على بك الكبير ٠ ولكن وزارة الأوقاف أوقفت صرفها منذ سنة ١٢٩٨ هـ ٠ وتقوم الطريقة بصرف هذه الموارد فى اطعام الفقراء والمساكين ٠ اذ أن بيت الشيخ مفتوح للجميع وهو يرسل لأتباعه ٦٠٠٠ دعوة لحضور المولد سنويا .

طرق نشر الطريقة :

وتنتشر الطريقة ويكثر اتباعها من طرق الوعظ والارشاد والأذكار، والأوراد التى تقام فى المساجد والموالد فى جميع انحاء البلاد ، وبذلك تكتسب الطريقة كل يوم وفى كل مولد واحتفال اعضاء جدد ينضمون الى المريدين والأتباع لاعجابهم بمبادئها واورادها وأذكارها ٠

علاقة الشيخ بمريديه :

هو امامهم ويجب أن يكون سائرا على الشرع عالما بما أمر الله به ونهى عنه فقيها فى الأمور الدينية حسن الأخلاق ، طاهر العقيدة ، عارفا بأحكام الطريقة ٠ سالكا مسلكا سخيا ٠ متواضعا مع اتباعه عطوفا عليهم عاملا لمصلحتهم ذا قراءة وطلاقة لسان فى تعريفه احكام الطريقة للمريدين والاتباع(١) ٠

---

(١) الجوهر الثمين فى آداب المشايخ والمريدين ٠

التزامات المريد نحو الشيخ :

يجب أن تنصرف ارادته لشيخه · وأن تقوى محبته له ، واعتقاده به حتى يكون أحب اليه من ماله وعرشه ومن والده وولده ، ونفسه محافظا لسره مؤدبا فى حضرته · ويجب عليه امتثال أمر الشيخ عقل معناه أو لم يعقل ، وعليه محبة من يحب الشيخ والبعد عمن يكرهه الشيخ . وان يلازم خدمته ما عاش ، ويحفظ لعائلته المحبة ، وصدق المودة ، وأن يتبع امامه وشيخه وأن يعتقد ارجحيته على مشايخ الطرق الأخرى بشرط حفظ مكانتهم والتسليم لهم الا فيما يخالف الشرع(١) ·

واجبات المريد نحو أخيه :

أن يتفانى فى محبة أخيه فى الطريقة · لأن هذا شرط من شروط الاسلام · وأن يقدم حاجة أخيه على حاجته وأن يعيش فى السراء والضراء معه ويعوده اذا مرض ويزوره اذا تأخر · ويشيع جنازته اذا مات يدافع عنه ويدرأ عنه كل ما يشينه أو يعيبه .

ومن هذه العلاقات الوطيدة يتضح لنا قوة هذه الروابط الروحية المتينة . وهذه العواطف المشتركة . وهذه العادات والتقاليد الواحدة التى تربط المريد بزميله وشيخه · والتى يتبعها فى طريقته · فالطريقة تسيطر على المريد ، وتتسلط عليه بنفوذها · فلا يستطيع منها فكاكا · ويكون منجذبا لها . مدافعا عنها محافظا على مواعيد أدائها حتى لو تعارض ذلك مع عمله وواجباته نحو أسرته . فهو يضحى بكل شىء حتى لا يخالف شيخه . فالطرق الصوفية عامة والأحمدية خاصة يمكن اعتبارها هيئات اجتماعية دينية . تستطيع اذا نقيناها من الشوائب أن تكون وسيلة هامة من وسائل الوحدة القومية ، اذ أنها تنتشر فى الريف والمدن وبين الجاهل والمتعلم · والجميع يعتبرون أنفسهم أخوة لهم على بعضهم حقوق وعليهم واجبات ينبغى القيام بها فيحفظون الواد ، ويساعد بعضهم البعض ، وهم يطيعون الشيخ طاعة عمياء .

ويمكننا بهذه الطاعة نشر ما تريده الدولة من توجيهات عن طريق مشايخ الطرق الصوفية ، فالأتباع يستمعون لأقوالهم وارشاداتهم ويتخذونها قاعدة لهم ودستورا لحياتهم وعلاقاتهم الاجتماعية والدينية والدينية .

---

(١) نفس المرجع صفحة ٨٠٧ ·

دور مشايخ الطرق وخدماتهم

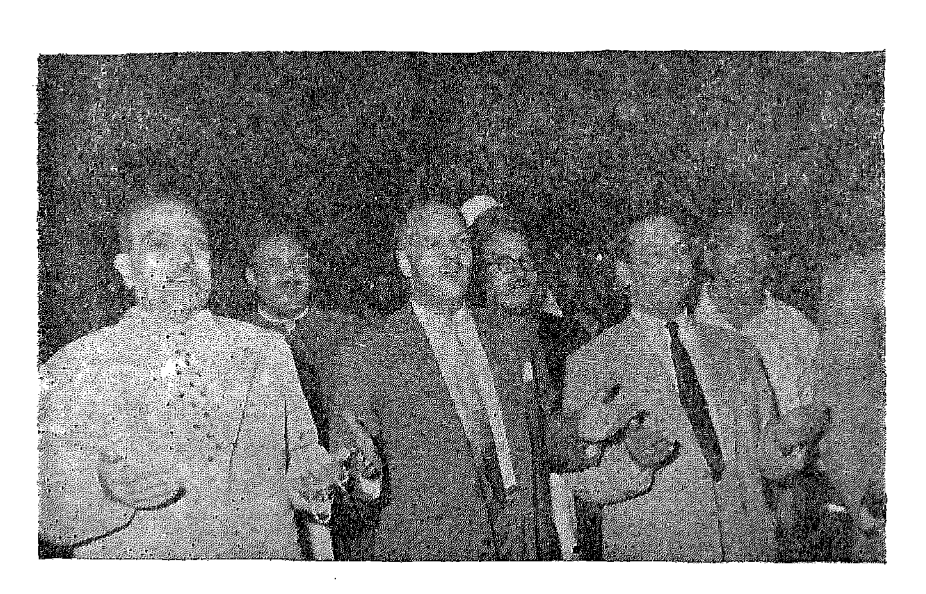
الواقع أن العقيدة الدينية التى تأصلت فى نفوس الطبقات الكادحة من الفلاحين والعمال بفضل الطرق الصوفية هى العامل الأكبر فى البعد عن الجريمة والفوضى والانحلال وغيره من السلوك العدوانى ٠

لذلك فمن مبادىء الصوفية انه لابد لكل مريد من شيخ يرشده ٠ وبهذا كان سلطان المشايخ على مريديهم سلطانا يكاد يكون مطلقا متى اخذوا منهم عهد الطاعة ويطلق الصوفية اسم الطريق على مجموعة القواعد التى يرسمها الشيخ لمريده والتى يمكن حصرها فى الزهد ٠ والصدق من غير نظر الى مدح الناس أو ذمهم ٠ وفى الصبر والخشوع والاحسان الى الخلق والتوكل على الخالق ٠

والمريد اول ما يجب عليه هو الحب المفرط لشيخه مما يساعده على تشرب تعاليمه دون عناء أو مشقة ٠

كما أن الأثر العظيم للعهد الذى يعقد بين الشيخ ومريديه أوجد قوة غالبة مشتغلة فى نفس المريد ووجدانه ٠ عصمته من العودة الى ماضيه فى الانحرافات ٠ حيث يعتقد انه اذا ارتكب ذنبا أو انحرافا بعد أخذ العهد ، فان الكوارث ستصيبه ، واسرته ٠ هذا الى جانب ما ينتظره فى الآخرة من عذاب ٠ وبذلك احدث هذا العهد فى نفس المريد اثرا أكبر وأبلغ من كل آثار القانون حيث أن العهد أحدث فى قلبه توهجا دينيا ويقظة ورهبة ، فيحس بأن الله يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور فالتربية الصوفية تحمى المجتمع أضعاف ما يحميه القانون ٠ وبتحليل كلمة مريد نجد معناها أن الشخص مريد لشيخه اى محب له ٠ وبذلك فهى تدل على العلاقة الروحية التى تربط المريد بشيخه ٠ وبذلك يعتبر شيخ الطريقة مسئولا عن مريديه فى توجيههم والأخذ بيدهم الى الحياة النافعة ٠ كما يعهد اليه بأن يكفل حياة المحتاجين من مريديه ٠ فينفق عليهم « من تحت السجادة » كما يقولون ٠ كما انه عليه تهيئة خيام المبيت واقامة الشعائر الدينية فى فترة الموالد ٠

فالموالد تعتبر مواسم يلتقى فيها المريدون فيتجدد نشاطهم ٠ وتقوى روحهم المعنوية ٠ وتتجدد تعاليمهم فى الأذكار الجماعية والأحاديث والندوات ٠



زيارة محـــافظ الغربية
ضريح السيد البدوى أثناء المولد



المسـجد الاحمدى

نشأة المسجد الأحمدى :

بدأ المسجد الأحمدى العظيم الذى نراه الآن فى شكل خلوة بناها عبد العال أول خلفاء البدوى بجانب القبر الذى بناه لأستاذه فى المكان الذى كان يسكنه كما كانت عادة كثير من الأوليـاء فى مصر فى ذلك العصر . وهـذا المكان هو منزل ابن شميط الذى كان يقع فى الطرف الجنوبى الغربى لتل عال صار فيما بعد داخل المسجد .

ثم تحولت هذه الخلوة الى زاوية للأحمدية بناها عبد العال باشرافه وبنا لهـا المنارات والقباب · ورتب بها الطعام للفقراء · فكانت مهبط المريدين ومحط رحال الزائرين من كل فج . وظلت هـذه الزاوية على حالتها زمن عبد العال طوال عهـد الحكام التسـعة الأول من المماليك البحرية .

ولـا تولى السلطان سيف الدين قايتباى ، وسع المقام الأحمدى وعنى بالزاوية ومنذ ذلك الحين كثرت الأوقاف الخاصة بالزاوية الأحمدية فكانت من أهم أسباب بقائها وتحسين بنائها .

وما لبثت الزاوية أن صارت مسجدا فخما بفضل على بك الكبير « ١١٨٢ ــ ١١٨٦ هـ » . فقد بنيت ثلاث قبات . كبراها للبـدوى والقبة القريبة لعبد العال . والشرقية للشيخ مجاهد شيخ المسجد فى عصر على بك .

وقد صنعت حول الضريح البدوى مقصورة من النحاس نقشت عليها سلسلة نسبه · وسجلت فى نهايتها سنة ١١٨٦ هـ اشارة الى أن ذلك قد تم فى عهد على بك . ولم تقف جهـود على بك عند ذلك بل أوقف

اوقافا جمة ، تعتبر من اهم الموارد المالية للمسجد حتى الآن . كما انه بنى « سبيلا » خارج المسجد فى الجهة الجنوبية . وقد نقل هذا السبيل الى مكان قريب من مكانه الأول ولا يزال به حتى الآن .

أما مقصورة عبد العال فمصنوعة من الخشب المطعم بالصدف .. ويقال انها كانت للبدوى من قبل. وقد نقشت على بابها النحاسى ابيات من الشعر يثبت آخر شطر منها تاريخ انشائها وهو سنة ١١٨٢ هـ .

وهذا الشطر من البيت الأخير هو « هذا عزيز باب قطب الرجال » ويظهر ان عناية على الـكبير بالبـدوى ومسجده قد بدات قبل اعلانه الاستقلال بمصر عن السلطان لأنه قبل اعلانه الاستقلال اراد ان يهيىء أذهان الشعب لقبول فكرة الانفصال عن السلطان خليفة المسلمين • وأن يمهد السبيل لخضوعهم لأمره . ودخولهم فى طاعته . ولم يجـد من يعاونه على بلوغ مآربه الا المتصوفة واتباعهم والأولياء . ومن بقى على عهدهم . فلهم ما ليس لغيرهم من الســلطان والنفـوذ فى قلوب عامة الشعب • لذلك كان على الكبير كريما فى معاملتهم سخيا فى عطائهم • مجيبا لمطالبهم مهما عزت مما لا يزال اثره تاقيا حتى الآن .

وقد اعتنى بالمسجد الأحمدى عباس الأول الذى اتصلت جهـوده بالمسجد مرتين . وصنع له منبرا . وصفت فيه اعمدة من الرخام يبلغ عددها ٥٨ عمودا .

وقد وصف على مبارك المسجد الاحمدى فقال :

« هو أعظم مساجد طنطا شــأنا . ولا يفوقه فى التنظيم وحسن الوضع والعمارة من المساجد الا القليل . وهو فى وسط البلد تقريبا . تحيط به أربعة شوارع وفى ضلعه القبلى مقام قطب الأقطاب سيدى احمد البدوى وعلى ضريحه مقصورة من النحاس الأصفر فى احســن شكل . وقبة عالية مثل قبة الامام الشافعى . وبداخله مقام تلميذه سيدى عبد العال . ومقام سيدى مجاهد وله أربع مغـارات فى زواياه الأربع . اثنتان كاملتان . واثنتان مزمع تكميلهما . وله سبعة ابواب . وتبلغ مساحته فدانا ونصف فدان » .

وقد زاره بعض الحكام والعظماء من الرجال .

وفى المسجد مكبرات للصوت فى ارجائه الفسيحة . حتى يسهل على المسلين به سماع الامام والخطيب وخاصة وقت صلاة الجمعة وفى

الأعياد والمواسم الدينية وفى وقت المولد عندما يشتد الزحام وتمتلىء جنبات المسجد بالزائرين من كل جهة .

وقد نظمت القراءة بالمسجد فى أيام الجمع . وكذلك نشطت حركة الوعظ والارشاد .

نفائس المسجد الأحمدى :

بالمسجد الأحمدى بعض النفائس الثمينة منها :

الشعرة النبوية الشريفة :

أهداها أحد أعيان الأتراك . فصنع لها صوان خاص بها بقبة عبد العال بين قبرى نور الدين وعبد الرحمن .

مخلفات البدوى :

وقد أعد لها مكان خاص بها .

المنبر :

وقد صنعه أحد المصريين صناعة دقيقة جعلت منه قطعة فنية رائعة من الفن العربى الجميل . وبجانبه محراب فاخر صنع صنعا متقنا فى عهد عباس حلمى الثانى .

المكتبة الأحمدية :

وقد أنشئت فى عهد الخديو عباس حلمى الثانى سنة ١٣١٦ هـ ١٨٩٨ م . وبها نحو ستة آلاف مجلد . منها نحو الف وثلثمائة مخطوط . كتب بعضها بأقلام الدردير والعطار وابن قاسم والزرقانى وغيرهم من رجال العلم والفقه الاسلامى .

وبالمكتبة ايضا كثير من المراجع العلمية الشهيرة كشمس العلوم فى الفقه وكتاب الأمدى فى الاصول وكشف الأسرار فى المنطق . ومن القطع الفنية الرائعة التى تحويها المكتبة الأحمدية لوحتان متوسطتا الحجم كتبت عليهما جميع سور القرآن الكريم بخط واضح وذلك غير المجموعات المختلفة من كتب الفقه الشافعى والمصاحف الأثرية النفيسة .

التعليم وطريقته بالمسجد الأحمدى :

اما قبة المسجد الأحمدى التعليمية فعظيمة . اذ كان هذا المسجد مدرسة من اعظم مدارس التعليم الدينى بعد الأزهر ولذلك سمى الازهر الثانى . كما انه من اشهر المزارات المقصودة ومن أكبر المساجد الجامعة

بالديار المصرية ، ويرجع تاريخ وجود التعليم فى هذا المسجد الى أوائل القرن التاسع الهجرى حيث وجد فى بعض وقفيات المسجد المؤرخة سنة ٨١٤ هـ ما يؤخذ منه أن هذا المسجد كان به بعض طلبة العلم (١) .

ويصف على مبارك حالة التعليم فى المسجد الأحمدى فى عصره فيقول :

وله فى تدريس العلوم شبه بالجامع الأزهر . ففيه نحو ٢٠٠٠ طالب غير المدرسين ولهم شيخ كشيخ الأزهر وقد تناولت مشيخته قديما وحديثا جملة وافية من اجلاء العلماء وفضلائهم .

وكانت طريقة التعليم بالمسجد الأحمدى قبل عهد الخليفة الخديو عباس حلمى يسير على نظام الحلقات كما كان الحال بالأزهر ومساجد مصر والحجاز والعراق . ثم انشئت المدارس والحقت بالمساجد على شكل أروقة للمذاهب الأربعة . كما كان يفعل صلاح الدين الأيوبى وخلفاؤه . الا أن ذلك لم يكن يلائم أنظمة التعليم فى العصر الحاضر .

لذلك رئى النهوض بالتعليم فى المسجد حتى يساير الأنظمة الحديثة قدر المستطاع فجعلت له ميزانية خاصة ووضع له نظام للتعليم شبيه بنظام الأزهر وذلك سنة ١٣١٢ هـ (١٨٩٤ م) وبمقتضى هذا النظام الجديد عقدت امتحانات للطلبة وسجلت أسماؤهم فى سجلات خاصة . ورتب لهم نظام للسكنى شبيه بنظام الأروقة بالأزهر وعين شيخ للاشراف على طلبة كل جهة .

أما الادارة العامة للتعليم بالمسجد . فقد وضعت تحت اشراف هيئة ادارية تتألف من شيخ الجامع ولجنة علمية ومشايخ الأروقة وقد عملت الادارة الجديدة برياسة الشيخ ابراهيم الظواهرى(٢) على احياء الأوقاف المندثرة حتى تزيد مواردها المالية .

وبعد وفاته صدر قانون آخر بنظام جديد سنة ١٩٠٧ م وعين الشيخ محمد الرفاعى المحلاوى شيخا للجامع الأحمدى ليشرف على تنفيذه . ولكنه لم يلبث فى منصبه طويلا . فخلفه الشيخ محمد حسنين العدوى الذى جاهد فى سبيل تطبيق النظام الجديد ، وقد تم له ما أراد على أكمل وجه (٣) .

---

(١) مذكرة الظواهرى ص ١٧ ، ١٨ .

(٢) هو والد المرحوم الشيخ محمد الاحمدى الظواهرى الذى كان شيخا للمعهد الاحمدى ثم شيخا للأزهر .

(٣) السياسة الازهرية ص ١٤٦ ، ١٤٧ .

وكان من نتائج هذا النظام تصفية الطلبة على حسب كفايتهم العلمية واستعدادهم للدراسة . ثم تحويل طلاب الفرق العليا الى طلاب نظاميين . وفوق ذلك زيدت رواتب العلماء وأجريت عليهم الجرايات . الى غير ذلك من ضروب الاصلاح المتشعبة التى توطدت بها دعائم النظام الحديث فى ذلك المسجد الكبير (١) .

المعهد الأحمدى :

غير أن تقدم التعليم وتطور التدريس وادخال العلوم الحديثة فى مناهج الدراسة . ورغبة رجال الدين فى الأخذ منها بنصيب واقبال الطلبة على تلقى العلم حتى ضاقت بهم رحبات المسجد . كل ذلك دفع الشيخ العدوى الى اقتراح بناء معهد للعلم يقوم مقام المسجد . فرفع فى أواخر ١٣٢٦ هـ ملتمسا بذلك الى الخديو عباس حلمى الثانى فتقبل الاقتراح وأصدر أمره الى ديوان الأوقاف بتنفيذه .

وقد تسلمته مشيخة الجامع الأحمدى للتدريس به فى يوم الخميس ٢٣ اكتوبر ١٩١٣ م . وفى جمادى الآخرة سنة ١٩١٤ افتتحه الخديو عباس حلمى . وقد كتب بمناسبة تلك الزيارة كتيبا أجمل فيه ترجمة السيد البدوى وتاريخ الجامع والمعهد الأحمدى بطنطا .

وقد بنى المعهد الجديد على الطراز العربى بجانب محطة السكة الحديدية بطنطا مشتملا على احدى وثلاثين حجرة للدراسة، وثلاث حجرات للادارة ومسجد ومطهرة فسيحة . وقد الحق بالجامع الأحمدى فى المصرف والنفقات وهو الآن تحت اشراف الادارة العامة للأزهر والمعاهد الدينية بالقاهرة .

ومنذ ذلك الحين امتنعت الدراسة بالمسجد . وأصبح خاصا بالعبادة واحياء الذكريات الدينية « كمولد النبى صلى الله عليه وسلم » وليلة الاسراء وليلة النصف من شعبان وغيرها .

كذلك يؤمه الزوار كل يوم من كل فج . وتزيد جموعهم فى الموالد زيادة عظيمة وخاصة فى المولد الكبير .

ما يجرى داخل المسجد :

داخل المسجد الأحمدى نجد بعض الطرق الصوفية قد أخذت كل جماعة منها ركنا . يقيمون فيه حلقات أذكارهم ووعظهم وتلاوة أورادهم

---

(١) كانت هذه الانظمة مقدمة لاصلاح الازهر والمعاهد الدينية اصلاحا شاملا وأول القوانين النظامية لذلك قانون ١٩١١ م .

وغير ذلك من الطقوس كما تقوم وزارة الأوقاف بالتضامن مع الأزهر بالوعظ والارشاد بالرواق الكبير للمسجد .

كما يوجد جماعة من الدراويش فى مقصورة المقام يتلون أورادهم وادعيتهم كما يدخل افواج الزائرين فى المقصورة لقراءة الفاتحة والطواف حول المقام اى الضريح ويحدث فى هذه الأثناء كثير من مظاهر التوسل ومناجاة السيد وبثه الأشجان والأحزان ومطالبته بتفريج الكرب وقضاء الحوائج . وتبدو على وجوه الزائرين الثقة فى أن السيد البدوى سوف يجيب مطالبهم ، فهو ابو فراج . ويحدث فى هذه الأثناء مظاهر سلوكية تعبر عن التوسل بالسيد مثل تقبيل المقصورة ورفع الكفين بالدعاء فى خشوع وذلة . والبكاء أحيانا فى اثناء بثه للشكوى . ووضع بعض النقود أو المصاغ داخل صندوق النذور . ووضع اليد داخل فجوة جانبية من المقصورة واخراجها مطبقة ووضعهـا فى الجيب متخيلا انه يملأ يده بركة ويفرغها فى جيبه . ثم مسح المقصورة بالكفين لتعلق بهما بركة السيد ثم يمسح بهما وجهه . وكذلك يلمس العامة الحجر الموجود باحد زوايا المكان والمحفور به قدم آدمى ، مدعين أنها قدم الرسول كما يمسح البعض ظهورهم فى مكان القبلة تبركا وطلبا للشفاء من الأمراض .. الى آخر هذه المظاهر .

وفى بعض الحجرات الموجودة بالمسجد والمخصصة لشيخ المسجد يقوم فيها شيخ الطريقة الأحمـدية المنايفة باستقبال كبار الزوار وخاصـة الرسميين منهم كما يقدم الطعام طوال ايام المولد للدراويش والزوار .

صندوق النذور بالمسجد الاحمدى :

يعتبر السيد البدوى من أغنى الأولياء موردا وأعظمهم ثروة ودخـلا بما أوقف عليه الأغنياء من أحبائه ومريديه وأتباعه من أراض وعقارات ويبلغ ريعها السنوى حدا خياليا . وتنتشر أملاكه وأوقافه فى جميع انحاء البلاد ويشرف على ادارتها وزارة الأوقاف وفيما يلى احصاء عن ايرادات أملاك السيد البدوى عن عام ١٩٦٢ :

المتحصل جنيـه	بيـــانه
٢٥٧٣٦	ربط وقف السيد البدوى « عقارات »
٣٩٧١	ربط وقف السيد البدوى « أراضى زراعية »
٢٩٧٠٧	



ترتيل القرآن فى المــولد



ويجانب هذه الموارد الدائمة التى تزداد دائما عاما بعد عام بفضل عمليات الوقف المستمرة ، نجد أن للسيد البدوى موردا داخليا خاصا بمسجده عبارة عن حصيلة صندوق النذور الموجود فى مقامه . وتبلغ حصيلة هذا الصندوق بين ٧٠٠ جنيه ، ١٥٠٠ جنيه فى الشهر . وذلك فى الأيام العادية وترتفع وتنخفض هذه الحصيلة تبعا للمواسم الزراعية الاقتصادية والانتعاش التجارى والمالى وخصوصا أيام جمع القطن والمحصولات الرئيسية . أما فى شهر المولد فترتفع الحصيلة الى حوالى ٣٣٥٠ جنيها أى أربعة اضعاف دخله فى الأشهر العادية .

ويقوم بفتح الصندوق لجنة مكونة من :

مفتش الأوقاف ومفتش مالى الأوقاف . وصراف المأمورية لتسليم النقدية ومندوب المعهد الدينى وشيخ المسجد واحد الخليفتين ورئيس الاتحاد القومى فى المنطقة ويفتح الصندوق مرتين فى الشهر واذا وجد مصاغ بالصندوق فيقدرونه بمعرفة مصلحة التمغة والموازين ، ويباع بالسعر السائد فى السوق ويضم لايراد الصندوق .

جدول يبين حصيلة صندوق السيد البدوى منذ عام ١٩٦١

السنة	المتحصلات
١٩٦١	٢٩٨٧ر٨٦٥
١٩٦٢	٢٥٩٦ر٦٧٤
١٩٦٣	٣٣٤٦ر٦١٧

(المصدر : تفتيش أوقاف طنطا)

وهذه النذور النقدية حصيلة الصندوق يوزع ايرادها كما هو واضح فى الجدول الآتى :

جدول يبين نسب توزيع حصيلة النذور النقدية بالصندوق

النسبة المئوية	البيـــان
٣٣ ٪	لطلبة العلم عامة
٢٠ ٪	لموظفى وخدم المسجد الأحمدى
٢٠ ٪	كانت تصرف لعلماء المعهد الدينى المعينين قبل سنة ١٩٢٨ ولكنها الفيت وحولت الآن الى وزارة الأوقاف
٩ ٪	لخلفاء السيد البدوى
٦ ٪	لاثنين من ابناء الخلفاء السابقين
٦ ٪	عائلة المرحوم الشيخ القويسنى
٣ ٪	حامل مفتاح المقصورة
٣ ٪	منحل الخلفاء للأوقاف

(المصدر : تفتيش اوقاف طنطا)

من هذا البيان نرى سوء توزيع هذه الحصيلة الضخمة من الأموال حيث يستولى عليها أفراد قليلون فى بسطة من العيش يأتى لهم الرزق من كل فج ، فأحد الخلفاء مفتش والآخر مدير مكتب حتى خدم المسجد انفسهم يحصلون على هبات من أغلب زوار المسجد . فالدافع فى هذا الصندوق ، والمقدم للنذور يدفع وهو يعلم انها اموال ذاهبة لوجه الله والبر والخير والاحسان للفقراء والمساكين وذوى الحاجة الضعفاء . لذلك كان لابد من ان تذهب هذه الأموال لمن وهبت لهم . وذلك باستغلالها فى عمل منتج أو مشروع صناعى يجمع العاطلين والمتسولين ينفعهم وينفع الدولة بهم وبانتاجهم وخصوصا اننا فى عهد بناء واصلاح وتعمير وتكافل وتضامن اجتماعى أو أن توزع هذه الأموال على هيئة صدقات وملابس واطعمة فى الأعياد والمناسبات الدينية والقومية .

انواع النذور :

تختلف أنواع النذور المقدمة فى المولد الأحمدى وذلك لاختلاف البيئات ففى القرى مثلا نجد ان النذور والهدايا المقدمة منها الى السيد البدوى تعبر أصدق تعبير عن طبيعة البيئة الاجتماعية . فببحث انواع النذور فى بعض القرى المجاورة لطنطا،وما أعدوه منها للسيد نجد واحدا قد خصص أربعة قراريط من ابن البقرة . وآخر عليه خروف يعمل به ليلة للسيد . وكل واحد من هؤلاء له اطماع فى كرم السيد وبركاته نظير نذره هذا. فهذا يرجو شفاء ولده المريض وهذه المراة يموت طفلها وترجو لولدها الحالى طول العمر . وآخر له قضية ويرجو ان تحكم المحكمة لصالحه ، وهناك من ينذر : اذا ولدت البقرة فللسيد البدوى كمية من الأرز بلبن هذه البقرة وبالسكر . كما انه قد تنذر احداهن انه عندما تفرخ الدجاجة يكون للسيد فى أفراخها النصف فتذبحه وتطعم الفقراء والفقهاء ، أو تبيعه وتشترى بثمنه نصف خروف يكون نتاجه خالصا للسيد ، وقد ينذر احدهم عجلا يذبحه حين يكبر ويسمن فى مدة المولد . فيترك العجل طليقا يرعى برضاء الجيران فى كل مكان ويلقب بعجل السيد والحقيقة أن الفقراء هم أكثر المحافظين على تأدية النذور للسيد واقامة ليلة كل عام للسيد وربما لغيره من الأولياء . ويحملون له العادة من «القراقيش» أو الخبز مع انهم قد يكونون فى اشد الحاجة الى ذلك والفول النابت له شهرة عظيمة فى حفلات المولد وكذلك نذر الشموع .

النذور والهدايا والقرابين فى المولد الأحمدى :

النذور والهدايا والقرابين تعتبر من المظاهر الشائعة فى المولد الأحمدى وتكاد تتخذ صفة العمومية عند الفلاحين والطبقات العاملة ، وذلك لكثرة تعرضهم للشدائد والأزمات والآفات . هذا بالاضافة الى قلة التعليم وانتشار الجهل وارجاعهم هذه المصـــائب الى القوى الخفية . وذلك لعجزهم عن التفكير العلمى السليم فيلجأ الى التوسل والاستعانة بالأولياء لحل مشاكله .

وكما سبق تقريره من أن الشعب فى طور الانحطاط لا يمكنه ان يرتفع بتفكيره فى فهم الدين الى أعلى فيضطر الى تناوله من قـــرب وان يتقبل فيه فكرة الوساطة عند الله وعلى هذا الأساس تتجه الجماهير الى الأولياء فى ذلة وضراعة يمنحونهم النـــذور والعطايا نظير تفريج كربهم .

دوافع النذور والهدايا والقرابين :

بتحليل النذور والهدايا المقدمة فى المولد الاحمدى نجد أن أسبابها ودوافعها اما شكر على جميل صنعه السيد وأمنية حققها لصاحب النذر ومقدم الهدية كالشفاء من المرض أو النجاح فى الامتحان . . الخ أو يكون هذا النذر وتلك الهدية عربون للســـيد على السعى فى اجابة الطلب وتحقيق الرجاء .

ولهم فى ذلك طلبات كثيرة اغلبها شـــائع معروف وبعضها غـــريب شاذ . ولـــكنها فى اغلبها أسباب تعبر عن واقع البيئة وطبيعتها . فهذا يرجو الشفاء لولده والعانس تطلب الزواج من ابن الحلال . والعامة تتمنى فك عقدتها ، والضرة ترجو قصف عمـــر ضرتها ، والفـــلاح يطلب نجاة محصوله من الآفات أو اطالة عمر ولده . . الى آخر هذه الأسباب .

الاعتقاد فى حدوث ضرر اذا لم يف بالنذر :

الشـائع عند الذين ينذرون للسيد انهم لابد أن يوفوا بنذرهم مهما كانت طبيعتهم فى المطل وأكل الحقوق .

وذلك يرجع الى الخوف من بطش السيد وانتقامه ، كيف لا وهو يدعى بالعطاب ، أى يسلط الأمراض على من لم يف بنذره ويميت عياله ويحرق (غيطه » ، ويكب زيته ، الى آخر هذه المعتقدات .

نتائج وآثار أتباع السيد ودراويشه :

والآن ، وقد انتهينا بك الى هنا .. فعلمت من هو السـيد أحمـد البدوى فى حياته وشخصيته ، وفى أغراضـه ومقاصده ، ثم وقفت على ما كان من اتجاهات أتبـاعه ودراويشه ، وما بلغوا فى المجتمع المصرى من مكانة وقداسة وما صار لخلفائه من سطوة ونفوذ واعتبـار رسمى فى الدولة .

فنحن نعرض عليك فى هذا الفصل ما كان لهذا كله من نتائج وآثار فى الحياة المصرية وفى عقلية الشعب المصرى ونظره الى مطالب الدين والدنيا ، لأن القصد ليس هو الترجمة للسـيد البدوى والـكشف عن حقيقته التاريخية فحسب ، وانما القصد الأول والأهم هو أن أكشف لك عن حقيقة تلك العقائد التى تستبد بوجدانات الجماهير الشعبية فى التعلق بسكان الأضرحة والقباب العالية ، وما لهذا من التأثير العميق فى اتجاهات الشعب وتكييف ميوله .

والواقع أننا لا يمكننا أن نفهم أهمية السيد أحمد البدوى اذا قصرنا دراستنا على شخصيته وحدها . وانما هذه الأهمية ترجع الى ماتركز فيه من شتى رغائب معاصريه وميولهم . بل ورغائب الذين سبقوه وجاءوا من بعده أيضا . فكان بهذا عاملا مؤثرا فى المجتمع العربى من الجمهورية العربية المتحدة ، ومرآة تنعكس عليها رغبات الشعب المصرى من جهة أخرى .

واذا قلت الشعب . فاننى أعنى جميع طوائفه وطبقاته .

ولقد ذكر الجبرتى فى أخبار الحملة الفرنسية على مصر(١) أن الجنرال « مينو » وقف يعدد للمصريين ما أداه لهم « نابليون » من الخدمات وما كان فى نيته أن يؤديه لهم فقال :

« وكذلك كان مراده يا مشايخ ويا علماء أن يسفر الحج الشريف هذه السنة ، ويفتح زيارة طنطا لأجل حفظ مقام السيد أحمد البدوى » فكأن زيارة طنطـا ، وحفظ مقـام السـيد أحمد البـدوى من الأمانى والمطالب التى يتعلق بها المصريون تعلقهم بالسفر الى الحج وكأن فتح زيارة طنطـا وحفظ مقـام السـيد أحمـد البـدوى من الأمور القومية

---

(١) الجبرتى الجزء الثالث صفحة ١٩٥ .

والرغبات الوطنية التى يقوم عليها الخلاف . ومن قبل نابليون ، ومن بعد نابليون كان السيد أحمد البدوى ولا يزال قبلة للحكام أنفسهم يحجون اليه بالزيارة ويقصدون الى ضريحه بالعمارة ويغدقون على اتباعه وفقرائه الأموال الطائلة . فقد كان السلطان « قايتباى » كثير الاعجاب به والاعتقاد فيه ، وقد زار ضريحه عام ٨٨٨ هـ ، ووسع فى مقامه ، وشيد له المبانى العظيمة(١) .

وقد كان السلطان قايتباى هذا يعتقد فى الشيوخ والأولياء عامة وكان كثير الانجذاب اليهم والاقبال عليهم ، لأنه كما قيل تولى السلطنة بعد أن حصلت له البشارة بذلك من عدد من الأولياء والصالحين(٢) .

ويعقد الجبرتى فصلا خاصا للحديث عن العمارة العظيمة التى اقامها على بك الكبير للسيد احمد البدوى فيقول : « ومن مآثره العمارة العظيمة بطنطا ، وهى المسجد الجامع ، والقبة التى على مقام سيدى أحمد البدوى رضى الله عنه والمكاتب والميضاة الكبيرة ، والحنفيات وكراسى الراحة المتسعة والمنارتان العظيمتان ، والسبيل المواجه للقبة ، والقيسارية العظيمة النافذة من الجهتين ، وما بها من الحوانيت للتجار»(٣) .

حتى فى أيام الحكم العثمانى الذى كان الحكام فيه لا يهمهم شأن من شئون الشعب كانوا يقصدون الى مقام السيد بالاجلال والتعظيم ويغدقون على فقرائه ودراويشه من هباتهم ونفحاتهم .

---

(١) ابن اياس الجزء الثالث دائرة المعارف الاسلامية .

(٢) اخبار الأول .

(٣) الجبرتى الجزء الاول ص ٣٨٥

خاتمة

هذا هو السيد أحمد البدوى العربى الأصل ، المغربى الموطن الذى نزح من بلاده ، وشاءت له الظروف أن يستقر فى طنطا ، ولبث فيها ٣٦ سنة ، متصوفا متعبدا داعيا الى الصلاح والتقى . فما لبث أن ذاع صيته ، والتف حوله كثيرون من المريدين ، وتكونت له طريقة خاصة تفرعت عنها طرق شتى .

وقد قضى معظم حياته على سطح منزل مناجيا ربه ، منقطعا لعبادته والتف حوله خلق كثيرون جاءوا من مختلف أنحاء البلاد للتبرك والزيارة وأقيمت له المجالس العدة والموالد الكثيرة ، وأصبح مزار السيد والجامع الأحمدى كعبة يتجه اليها آلاف الزوار . حتى وصفته دائرة المعارف الاسلامية « من القليلين الذين ذاع صيتهم واشتهر أمرهم فى مصر خاصة والشرق عامة فى القرن السابع الهجرى » .

وقد ركزت كل اهتمامى على سيرة العارف بالله الامام السيد أحمد البدوى وما له من كرامات .

وان مولده يعتبر حدثا هاما من الأحداث الدينية ، ففيه يتلى القرآن الكريم ، وفيه تقام الصلوات وتتلى الأوراد ودلائل الخيرات ، ومولده يعتبر أيضا من أكبر المواسم السياحية العالمية لكثرة عدد

الوافدين من كل بلد وقطر . ففيه ترى المغربى والتونسى والســودانى وغيرهم الكثير من الأتراك والأعاجم والهنود قد جاءوا لاحياء ذكرى مولد الرجل الذى كان فى حياته يجاهد النفس بتقوى الله ، ويحارب أعـــداء الدين والوطن .

والسيد البدوى الى جانب تقواه يعتبر فيلسوفا مبسطا ، وفلسفته تتركز كلها فى الحب والتسامح ، فهو يحض على حب الحق والطهــر والصدق والصبر على المكروه والوفاء بالوعد ، وهو يدعو الى أن تذكر الله فى قلبك ، ولا تذكره باللسان .

وبعد .. أيها القارىء فهذه هى حياة السيد البدوى باب الرسول وسلطان الأولياء ومربى المساكين .

الفهرس

الموضـــــــوع	الصفحة









